المجموعة القصصية

(أبوك الإسكندر)

تأليف

د/حسام صبري

تقديم

د/نبيل فاروق

1429هـ/ 2008م

دار النابغة للنشر والتوزيع

obeikandl.com

صبري/ حسام صبري
أبو الإسكندر/ تأليف د. حسام صبري
ط1ـ القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2008.
168 ص، 12سم.
تدمك 2ـ180ـ380ـ977
1 – مجموعة قصصية
أـ العنوان
رقم الإيداع: 1761/ 2008

جميع الحقوق محفوظة للناشر

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار العلوم للنشر والتوزيع – القاهرة، ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو نقله على أي نحو، سواء بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر خطيًا ومقدمًا.

الطبعة الأولى: 1429هـ/ 2008م

الناشر

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف: 25761400 (00202) فاكس: 25799907 (00202)

الموقع الإلكتروني: www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail.com

daralaloom2002@yahoo.com

حسام صبري كاتب شاب وموهوب، ومنذ اللحظة الأولى، التي قرأت فيها أعماله، أدركت أنه يمتلك فلسفة خاصة، وتعتمل في نفسه قضايا جديدة ومختلفة، ولكنه ينجح بقلم رشيق في أن ينقلها إلينا، أو ينقلنا إليها..

وكتابات حسام تطرح دومًا تساؤلات خاصة وقضايا تستحق التأمل والتفكير..

وفي رأي أن هذه هي مهمة الإبداع..

أن يدفعنا إلى التساؤل.. والحيرة.. وإعادة رصد وتقييم الأمور..

وهذا ما نجح فيه حسام بجدارة..

فتمنياتي لحسام صبري بدوام الإبداع والتوفيق والتفوق، عبر ذلك الدرب الشاق، الذي اختار المضي فيه بإرادته..

درب الأدب..

والإبـــداع..

د. نبيل فاروق

المهنة.. خبير

القصة الفائزة بمسابقة نادى قطر للقصة 2005

كنت طفلا ذكيا يحلم بأن يصبح(طيارا) يوماً ما . .

بدأ الحلم بارتياد الفضاء ، فقد بهرتني بذلة رائد الفضاء وخوذته الزجاجية الكبيرة وحذاؤه وباقي أدواته حين رأيتها بالصحف والمجلات ونادراً في (التلفاز) الذي لم يكن منتشرا حينها . . معلنةً هبوط أول إنسان على القمر . .

ومن طبيعة الإنسان أن تتضاءل أحلامُه تدريجيا كلما كبُر في السن واصطدم بحقائق الحياة . .

قليلون جداً هم من حققوا أحلام طفولتهم بحذافيرها . . وهم الفئة التي نطلق عليها العظماء . .

أنا لست منهم بالتأكيد . .

لكنى كذلك لا أستسلم بسهولة . .

لقد تنازلتُ ولكن بقدر ضئيل ، لقد تحول حلمي إلى (طيّار) ، بل وأحببته بشدة أكثر من حبي لرائد الفضاء . .

ثم أصبحت (طياراً) . .

لم تشكل اختبارات الالتحاق لي أية مشكلة فقد استعددت لها تمامًا . .

لا أقول من سنة أو اثنتين وإنما منذ طفولتي . . حين علمتُ أن اللياقة البدنية ليست في شكل الجسم وكتل العضلات فقط ، وإنما ـ والأهم ـ في قوة تحمله وقدرته على بذل المجهود الكبير في أوقات قصيرة أو المجهود متوسط الشدة ولكن لفترات طويلة مثل الجري الطويل . .

وفى المرونة وسرعة رد الفعل وفى التركيز للوصول إلى تناسق عضلي وعصبي ممتاز . . .

طبعا لا أزعم أنى علمت هذه التفاصيل وأنا طفل لكن سؤالي الدائم وقراءاتي لكتب التأهيل الطبي للكليات العسكرية وكيفية رفع اللياقة البدنية ومتابعة كل جديد . . كل هذا أكسبني معرفة قوية بما أنا مقدم عليه . .

ولم أكن مقتنعًا بتعليم نفسي بنفسي إذ لا بدّ من مدرب ، وبالتالي لا بد من رياضة معينة . .

واخترت الوثب العالي أو القفز باستخدام العصا الطويلة . .

وكان اختياراً جريئًا للغاية ؛ فاللعبة صعبة جدًا . . بل . . هي أصعب ألعاب القوى على الإطلاق .

يجب أن تتوافر في ممارسها صفات : القوة والسرعة والمرونة والتوافق العصبي العضلي والتركيز الشديد وبذل المجهود الكبير لمدة قصيرة أثناء المسابقة ، أو طويلة أثناء التدريب . .

إنها ببساطة الصفات التي تؤهلني لأن أكون(طياراً) . .

كان لابد لعمل قفزة واحدة صحيحة من تعلم عشرات التمرينات وإجادة مئات الحركات والقفزات وتقوية العديد من العضلات وزيادة جرعة (الفيتامينات) .

ثم تمكنت من القفز بنجاح باستخدام العصا . . .

وحين كنت بالمرحلة الثانوية لم أكن لأترك مجالاً للصدفة . .

فبمساعدة والدي الطبيب المعروف قمت بعمل كشف طبي كامل أسفر عن وجود دوالي في منطقة حساسة بجسمي ، قمت على أثرها بعمل عملية جراحية لنزع هذه الدوالي . .

وكان يوم الاختبار . .

أو بالأحرى أيام الاختبارات . .

. . كانت تشكل لي متعة غير عادية . .

حصدت المراكز الأولى في جميع الاختبارات . . دون استثناء .

حاصل على مجموع يؤهلني لأرقى الكليات . .

حاصل على شهادة التفوق الرياضي على مستوى الجمهورية في الجمباز . .

مستوى الأداء كان باهراً بالنسبة للممتحنين . .

أذكر أن القائد كان يصرخ فينا : خمسين(ضغط) الآن . . فأنهى أنا العدّ قبل الجميع صائحاً : مائة(ضغط) ؛ كي يبتسم ، وقد عرفني من اليوم الأول قائلاً : وماذا لو أصبحت فرقة خاصة؟ ستأكلنا حينها؟ !

نظر حادّ . . سمع فائق . . ثقة هائلة في النفس ـ بدون غرور ـ و . . . .

رسبت في الامتحان . .

وكانت صدمة غير عادية . . لكنى تجاوزتها ورضيت بقضاء الله ، وذهبت بأوراقي لكلية الهندسة . . أحدهم همس في أذني بعد ذلك أن سبب استبعادي من كشوف المقبولين هو العلاقة الطيبة بين أبى والإخوان . .

ثمّ كانت المفاجأة . . لقد قام أبى ـ بدون أن أطلب أو حتى أفكر في ذلك ـ بالتقديم لي في معهد الطيران الدولي بولاية (نيفادا) .

ولم أصدق نفسي وعاتبت أبى وأنا سعيد . . فتكاليف هذا المكان ليست كبيرة وإنما هائلة ، لا يتحملها سوى فئة خاصة على مستوى العالم . .

لكنّه أجابني أنى ابنه الوحيد، والخير كثير والحمد لله، وما قيمة الأموال إن لم ننفقها على من نحب؟

وتفوقت في الدراسة . . وعملت في كبرى شركات الطيران . . وأصبحت خبيراً دولياً في مجالي . .

أمتلك الآن مدرسة خاصة لتأهيل الطلبة لدخول الكليات العسكرية . .

ثم طلب منى وزير المواصلات في بلادي ـ في إحدى الحفلات ـ استشارة تخدم بلدي . .

فوافقت على الفور ودون أي مقابل مادي ـ علمًا بأنهم لو استعانوا بخبير أجنبي لم يكن ليحصل على أقل من رقم ذي خمسة أصفار ـ . .

لكنى فوجئت بأنها لن تسجل باسمي . . . فاعترضتُ قائلاً: يجب أن يتم الطلب بصورة رسمية بحيث أضع في سيرتي الذاتية بعد ذلك أنى كنت المستشار في مشروع كذا . . وهذا حقي . . إذ لا أتخيل أن أؤلف كتابا ثم يضع أحدهم اسمه على الغلاف . . هذا ظلم .

رفض سيادة الوزير . . وتأسّف بشدة من موقفي هذا . .

ثمّ طلب إلى أكبر شركة عالمية متخصصة في هذا المجال الاستشارة مقابل مبلغٍ هائلٍ . .

فأرسلت الشركة خبيراً دولياً يجيد لغتهم . . .

أرسلتني أنا . . . . . .

(انتهى)

البيت النهائي

()

انطلقت الطفلة في مرح زائد، وفى قفزة واحدة تعلقت بعنق والدها الذي اعتدل في بطء رافعاً إياها قبل أن يفلت الحقائب الثمينة من يده، وفى رشاقة كبيرة ترفع الطفلة ساقها اليمنى الصغيرة كي تعتلي كتفي الأب الأيسر ثم تتشبث بشعر رأسه القليل كي ترتفع بجسمها وتعتلي كتفي أبيها الذي لا يعترض ولا يحاول مساعدتها و إن كانت خلاياه العصبية تخبره أن البنت متوازنة تماماً وأن يديه مستعدتان للتدخل الفوري في حالة وقوع أي خلل . .

ولم تعلق زوجة أبيها فهي لا تحب أن تنهر البنت ـ ولو كانت مخطئة ـ في الفترة القصيرة التي يقضيها الأب معهما لعلمها بأن مجرد انتهار البنت يثير حنقه وسخطه . .

وكأنها أصبحت جزءاً من أبيها راح يتنقل في أنحاء المنزل دون أن تنزل من على كتفه و دون أن يحاول هو إنزالها، بل على العكس لقد جعل يثنى قدميه عند دخوله غرفة النوم كي لا ترتطم رأسها بحلق الباب العلوي . . وحين وقف أمام المرآة تأملها وقد اعتدلت تماماً فوق كتفيه واحتضنت رأسه الكبير بذراعيها الصغيرتين . .

كانت نظرات الأب تخترق ذراع البنت البض كي يرى أمامه فلا يتعثر في إحدى التحف الثمينة التي ملأت المنزل، وقد كاد بالفعل أن يتعثر في منضدة صغيرة وقصيرة لولا أن أزاحتها الزوجة بسرعة طالبة

منه أن ينتبه لخطواته فهناك درجتا سلم أمامه . . وقد كان ذاكراً لموضوع الدرجتين فهو يعلم تصميم البيت جيداً منذ أن رآه و بهر بمساحته الكبيرة وموقعه المميز في واحد من أرقى أحياء المدينة وخصوصاً هذه المستويات داخل المنزل والتي تفصلها درجتان أو ثلاث . .

لقد عزم على شراء هذا المنزل خصيصاً كي تلعب فيه ابنته وتكسر أي شيء يحلو لها وكي يكون البيت النهائي بعد أن . . انتقل كثيراً أثناء عمله ولم يكن له ـ من قبل ـ بيت ثابت . .

لذلك فقد أنفق الكثير في إنهائه، واستغل جميع خبراته في أعمال البناء وخبرات أصدقائه لإنهاء تشطيب المنزل على أعلى و أفخم مستوى، لا ليرضي نفسه وزوجته الثانية فحسب، و لكن الأهم كي يعجب ابنته التي أشارت لبيت مماثل منذ سنوات متمنية أن يكون لها بيت كهذا وكانت بالكاد تتكلم، وقد أخذ هو على نفسه عهداً أن تسكن بنته في بيت مثله أو أفضل . .

علت وجهها ابتسامة مشرقة تحولت إلى ضحكة جالبة للحياة حين أخبرها أن تمسك جيداً لأن الخلاط سيعمل . . ثم راح يدور بسرعة في مكانه فبدأت الغرفة تدور من حوله وبدلاً من أن يقف مستجيباً لنصيحة زوجته عاندها ضاحكًا وواصل الدوران بسرعة حتى شعر بانسحاب الدم من رأسه و رأى الغرفة تتمايل و الأرض ترتفع، وما كان يتوقع هذا الإجهاد السريع الذي ربما زاده إرهاق السفر الطويل، وبالتالي فقد خاف أن يصطدم بالبنت في أحد الأركان ومن ثم ألقى

بنفسه و حمولته فوق السرير متجنبًا الاقتراب من الحواف الخشبية كي لا ترتطم رأسها في إحداها . .

لكنه لم يقدر الطول الحقيقي لابنته التي لم يرها منذ عدة أشهر ، وبالتالي ارتطمت رأسها بالجدار في قوة حتى إنه لم يصدق للحظات أن هذا الصوت الشبيه بصوت ارتطام حجر ملفوف في بطانية بالحائط هو صوت ارتطام رأس ابنته .

ولقد زاد اضطرابه حين وجد البنت وقد سكتت تمامًا ولم تند عنها سوى ارتعاشه خفيفة في يدها اليسرى ولا أثر لنقطة دم واحدة . .

( )

يجلس الآن في ممر المستشفى الفخم تكاد تصيبه أزمة قلبية لفرط لهفته على ابنته و هو يحاول أن يستشف من الأطباء مدى خطورة الحالة

ـ ابنتك مصابة أساسًا بسيولة الدم .

ـ أعلم هذا منذ ولادتها .

ـ لذلك فالإصابة قد نتج عنها نزيف داخلي بين غلاف المخ والطبقة الداخلية للجمجمة .

ـ وهل هذا خطر؟

ـ في المعتاد يتم السيطرة عليه بالعقاقير ، و إذا زاد يتم تصفيته

جراحيًا، أما في حالة ابنتك . .

ـ ماذا؟؟

ـ في حالتها كان النزيف مريعًا فـزاد الـضغط علـى المـخ وبالتـالي ماتت قبل أن تصل المستشفى .

()

يرى الجسد الصغير ملفوفا في ثـوب أبـيض ذي رائحـة قويـة، ثـم يوضع في حفرة ضيقة تنهال عليها التراب، ثـم تغطـى المقـبرة بـألواح قاسية من الأسمنت الصلب تعلوها طبقة أخرى من التراب، ثم يقفل باب المقبرة الحديدي وقد علاه صدأ كثير وتراب أكثر . .

ولا يصدق أنه سيرحل عائـداً إلى البيـت تاركًـا حبـة قلبـه في هـذا البيت . .

النهائي . .

(انتهى)

لَيْلَةُ السُّقُوطِ فِي الْحُفْرَة

انزلقَت قدمي في نعومة ويُسر كي أجدَ نفسي وقد هَويت بسرعة وذراعي يضربان في الهواء في عجز تام عن إيجاد شيء يحفظ توازني، وفي حركة لا إرادية فردت ذراعي الأيسر مُوجهًا كفه إلى أسفل كي تواجه أكبرَ قدرٍ من الصدمة . .

التي كانت عنيفة . .

نسيت تمامًا أمر هذه الحفرة الكبيرة التي حفرها الحاج صادق كي يصل إلى ماسورة المياه التي تغذى منزله بعد أن أصابها عطبٌ ما جعل المياه تصل إلى بيته الوحيد على أطراف القرية وقد تغير لونها فأضحت أقرب إلى لون الطين . .

لكنى لم أكن أتخيل أنها بهذا الاتساع . .

فهاأنذا جالس وقد فردت كلتا رجليَّ دون أن أشعر بأي حدود وكأني جالس على الأرض في قاعة مظلمة كبيرة . . لكنها قاعة غير نظيفة، فالأرض طينية، وقد زاد الطِّين بلةً ـ حقيقة لا مجازًا ـ بسبب الأمطار التي بدأت منذ ساعة فقط وازدادت حتى صاحبها البرق أحيانًا يتلوه رعد قوى يشعرني أنى لست وحدي في هذه الحفرة . .

وحين حاولتُ النهوض شعرتُ بآلام جبارة في ساقي اليسرى . . حاولت أن ألمس ساقي كي أتبين وجود دم . . لكن (البنطال) كان مبلولاً بشدة وقد اختلطت المياه بالطين فلم أدْرِ هل ذلك السائل اللزج

ماءُ مطر (مطيّن) أم دم . . ؟

كما أن هذه اللمسة البسيطة أكسبَتْ ساقي ألماً كبيراً . . إذن فساقي مكسورة لاشك في ذلك . .

حركتُ ذراعي للخلف فاصطدم بنُتُوءات طينية لم تكن تبعُد عني بأكثر من شبرٍ واحد ، فأمَلْتُ ظهري عليهَا ثم قرأتُ آية من القرآن الكريم وركّزت بشدة كي أجد مخرجًا من هذا الموقف . .

وحين وجدت الماء يرتفع عن الأرض شبراً كاملاً تذكرت القصص التي سمعناها عن غرف التعذيب وكيف كانت تملأ بالماء حتى يكاد يغرق الإنسان داخلها . .

ثم قفز تفكيري إلى حادثة بعيدة وقت أن كنتُ طفلاً يتطلع إلى العالم من خلال نافذة بيته العالية حين وصل إلى أذني صوت كلب ينبح نباحًا طويلاً مستغيثًا كأنه يبكي وقد تجمع حوله مجموعة من الصبْية والشباب متحدين الأمطار يتشاورون في كيفية إخراجه ، وقد تبينتُ عمى وسطهم حاملاً كرسيًا خشبيًا وواضعًا إياه برفق في هواء الحفرة ثم تاركاً إيّاه كي يهبطَ في سلاسةٍ ويستقرَّ أمامَ الكلب الذي هدأ نُباحه وتغيرت حدته . .

وقد اتهمه الواقفون بالغباء وصاح به بعضهم أن يقفز فوق الكرسي ومنه إلى الخارج وكأنه يفهم كلامهم ، حتى أنا . . من نافذتي العالية صحت فيه أن يتحامل على نفسه ويقفز ، لكنى الآن أعرف أن الصياح هو أسهل شيء في الوجود . .

يومها جلس عمى في تؤدة وثقة على حافة الحفرة ثم مد قدمه حتى لامست الكرسي فضغط عليهً كي ينغرس في الطين ثم وقف عليه بكلتا قدميه وهبط باليمنى بسرعة وحمل الكلب على ذراعيْه فالتقطه الشبابُ ثم ساعدوا عمى على الخروج . .

لكن أين أنت الآن يا عمى؟؟

فجأة تحرك شيءٌ صغيرٌ بسرعة فوق قدمي فانقبَضتْ خلايا جسدي كلها وأنا أتخيل فأراً كبيراً منً فئران (الغيط) يتسلى في كعب قدمي حتى الصباح . .

وحاولتُ هذه المرة بكل ما أُوتيتُ من قوة أن أضم قدمي إلى جسمي بحيث يكون كعبي في مستوى وصول يدي . .

كانت الآلام قوية لكن عزيمتي كانت أقوى؛ فاستندت بظهري إلى جدار الحفرة وضغطْتُ بقوة وكأني أدفعه للخلف فارتفعت فخذي قليلاً عن الأرض كي أضع ساقى اليمنى السليمة تحت اليسرى ثم أضمهما معاً إليَّ حتى وصلت يدي إلى كعب قدمي فهدأتُ واطمأن قلبي قليلاً، لكن البرق ضرب السماء مرة أخرى فأضاءت الحفرة وليتها لم تفعل؛ لأني رأيت ثعباناً صغيراً يتلوى بسرعة على الجدار المقابل . . .

بدأ شعوري بالبرد يزداد واجتاحتني رِعشة سمعتُ على أثرها صوْت أسناني وهى تصطك . .

و لم أعد أشعر بقدمي اليسرى نهائيّاً . .

حدَّثتُ نفسي أنه لم يكن ثعباناً وإنما خُدعة بصرية بسبب ضعف الإضاءة وتأثير المياه المتساقطة . . لكنى لم أقتنع . . . فمن سأخدع؟؟

هل أغض الطرف عن الثعبان وأقول لنفسي لا تخف إنه ليس ثعبانا بينما الفاصل بيني وبينه حدٌ صغير؟

ربما لو تركْتُه لحاله وتركتُ له هذا الجدار دون أن أزعجه لتركني في سلام، و هل سأخدعُ نفسي؟ . . هذا ثعبان يجب أن يموت . .

صرخْتُ بقوة . . أنى هنا في الحفرة . . وبها ثعابين، في محاولة يائسة أن يستمع لصراخي أحدهم . .

وكررت الصراخ وقد طغى عليه صوت المطر والرعد وأنا أعلم أن أحداً لن يصله صوتي ؛ فالقرية على بعد كيلو أو أكثر من المحطة، وأقرب بيت هو بيت الحاج صادق الذي يفصلني عنه عدة أمتار وسور البيت وجنينته الواسعة ثم وسط الدار شبه المكشوف ثم جدران المنزل وفتحاته المغلقة . . أضف إلى ذلك جدران الحفرة ذاتها . .

من سيسمعني الآن؟؟

ونِعْمَ بالله . . رفعت رأسي إلى السماء قائلاً: يا رب . .

وكأن الكون موسيقى تصويرية خلفية لكلامي فقد استجاب مع كلماتي ببرق ورعد شديد أضاء الحفرة مرة أخرى كي يظهرَ الثعبان هذه المرة قريباً من أذني . .

لكنى لم أفكر . . وإنما قبضْتُ على رأسه بسرعة وفي حركة عصبيةٍ كسرْتُ عنقَه ورُحْت أضرب به جدران الحفرة حتى أصبح في

يدي كالحبل المدلى . . فرميته خارج الحفرة وأنا لا أدرى هل هذا السائل اللزج على يدي دم الثعبان أم دمى . .

لكن جدران الحفرة كانت أضعف من أن تتحمل هذه المعركة فانهار من جدارها جزء صغير فوق رأسي اندفَعَتْ على أثره كميات كبيرة من المياه كانت محجوزة خلفه . .

وهنا أصبحت فكرة غرفة التعذيب حقيقة ؛ فالمياه ترتفع بسرعة وكأن مياه الحقل المتجمعة كلها قد فرحت بذلك المنفذ فاندفعَتْ إلى الحفرة حتى وصلَت إلى صدري . .

وقد شُل تفكيري من المفاجأة ومن سرعة امتلاء الحفرة . .

فرفعت عنقي بأقصى ما أستطيع . .

لا . . ليست هذه غرفة تعذيب

وإنما غرفة إعدام . . . .

()

في سريري الدافئ أتحسسُ أهدابَ الغطاء وأتأكدُ أن جسدي كله مُغطى بإحكام فيما عدا رأسي ووجهي الذي يطل إلى الجالسين . .

وفي ابتسامة هادئة رحت أشرح لضيوفي تفاصيل تلك الليلة العصيبة . . وكيف كدت أن أصل لحالة من اليأس أفقد معها حياتي حين عتلى الماء أذني فانخفض صوت المطر فجأة وغلب صوت طنين

قوى . . لكنى سميت وحوقلت متذكراً نصائح سامي بن الحاج فوزي . .

حين تعجبْتُ من قدرته على التحول للوح خشبي تقذفه الأمواج لأعلى وتمر من أسفله دون أن تقلبه أو تغرقه . .

تذكرت نصائحه أن أسترخي تمامًا وأفرد أعضائي كلها وآخذ نفساً عميقاً أملأ به رئتي ثم أخرج منه بهدوء وأفرد يدي بجانبي كالنائم على سريره في سكينة ولأترك لكثافة المياه الباقي . . لكن هذه الحركة لم تفلح سوى في رفعي بمقدار ضئيل تمكنت خلاله من اقتناص نفس طويل قبل أن يجتازَ الماءُ شفتي مداعبًا أرنبة أنفى مرةً أخرى . . .

وهنا قاطعني أحدُ الجالسين مُوضحًا أن كثافة المياه العذبة أقل من مياه البحر وبالتالي لن تنجح في رفعي بهذه الطريقة . .

أومأتُ برأسي مُؤمِّناً على كلامه ثم تابعْتُ:

والنهاية تعرفونها جميعُكم . .

( )

تنهّد الجالسون وتعدّدت تعليقاتُهم ما بين سبحان الله واستطعت أن تقف على رجلك المكسورة، فصحّحْتُ قائلاً: انزلاق أمامي في رأس عظمة الفخذ اليمنى وكسر بالساق اليسرى وشرخ في معصمي الأيسر مع كدمات في أنحاء الجسد . .

وهنا دخل عمى الحجرة . . فوقفَ الجلوسُ ومد هو يدَه مصافحاً الجميع ومرحباً بهم . . ثم وضع يده على رأسي كأني طفل وسأل عن

حال البطل اليوم . .

فابتسمت متابعًا : ما زلت لا أفهم كيف توقعتَ أن أكونَ في هذا المكان . . .

فأجابني بابتسامة هادئة : أنا لم أتوقعْ وإنما خرجْتُ عند سماع صوت القطار بالكشاف كي أستقبلَك لكنى وصلت المحطة ولم أجد أحدًا . . فخمنت أنه إما أنك عجزت عن اللحاق بالقطار . .

وإما أنك سلكتَ هذا الطريق الخلفي المليء بالمياه الراكدة وأكوام الطين الطري كي تصل أسرع . . وطبعًا لم يفتني النظر بالكشاف داخل حفرة الحاج صادق من باب الفضول . .

قاطعه أحد الجالسين : أتعنى أنك لم تسمع صُراخه . .

فأجبتُه أنا : في هذه اللحظة لم أكن أصرخ فقد استنفدت كل طاقتي في مُحاولتي الناجحة للقيام والوقوف على ساق مكسورة وفخذ مخلوع بينما تنغرس أصابع يدي عن آخرها في جدران الحفرة في محاولة لتخفيف الضغط عن جزئي السفلي . .

واصل عمي : الحمد لله . . هي تجربة جيدة لشاب في سنك فلا شك أنك لا تخشى المفاجأة والألم والموت . . فهي أشياء قد واجهتها في ليلتك هذه . .

أمّنت على كلامه وإن تابعْتُ في سرى : هل أنا فعلاً لا أخشى المفاجآت والآلام . .

والموت . . . الآن؟

قطع تفكيري أحد الجلوس :

ـ هل شعرت بالرعب هذه الليلة؟ جاوبْنى بصدق؟

ـ بصدق كانت تجربة مميزة شعرت فيها بأقصى درجاتِ المغامرةِ والاعتماد التّام على الله . .

ولقد لعب الخيالُ برأسي ففكرْتُ في أشياء كثيرة لكن أغلبها كان طريفًا والحمد لله . .

ـ لم تُجبني . . هل شعرْتَ بالخوف والرعب؟

ـ في الحقيقة . . نعم . . في لحظة واحدة . . حين تخيلت نفسي أحد ضحايا المقابر الجماعية ممن دُفنوا أحياء ، وجوانبُ الحفرة تنهالُ علىّ . .

لكنى والحمد لله قاومْتُها وانتصرْتُ . .

(انتهى)

(الهجرة المضادة)

ومرة أخرى من مدرسة الحيوان. . . . . نتعلم. . .

بل و من رتبة الحشرات. . الأقل حسب التصنيفات التي لا أعترف بها. .

فمن الإنسان من هو أضل و أشقى من أقل الحشرات و أحقرها. .

ولا نتحدث هنا عن حقارة الحجم. . وإنما حقارة الصفات. .

فمع خبث العقرب ولؤمه نجد النحلة والفراشة و. . . . . النملة. .

وما أدراك ما النملة. .

لقد راقبت حربًا قامت في حديقة بيتنا بين النمل ومجموعة أخرى من الحشرات الكبيرة القادرة على الطيران. . وقد ربحت الحشرات الطائرة المعركة الأولى، وتهدم جدار المخزن فظهرت الحبوب المدفونة و فتات الخبز و حبيبات أخرى صغيرة لم أعرف كنهها. . هجمت عليها الحشرات الطائرة في شراهة بعد أن طردت النمل. .

وحين هممت بالانصراف و أنا متأثر بحال النمل المشرد في أنحاء الحديقة وجدت بضعة نملات تعود إلى نفس المكان. . محملة بغذاء آخر واستماتت للدفاع عن هذا القوت الجديد. . ؛ حتى يئست منها

الحشرات الطائرة فتركتها . .

ثم لحظات أخرى وعادت مجموعة ثانية ثم ثالثة وهكذا حتى تجمع النمل مرة أخرى وطرد الحشرات الطائرة في سهولة لم أكن أتخيلها . .

فقد كانت النملة ـ رغم صغر حجمها ـ تقفز فوق الحشرة الطائرة وتلدغها في أم رأسها فتترنح وتقع ، ثم تقفز فوق غيرها . .

فلم لا نفعل نحن أيضًا؟ ! !

أنا مهاجر قبل أن أولد . . ولدت في بلد غير عربية و لا حتى إسلامية . .

وقد وجدت والدي على قدر لا بأس به من الثراء و أخوتي في مراكز مرموقة . .

فلم لا نعود؟ . .

لِمَ نرتضي عيشة المهاجرين؟ . .

لقد ولدت على هذه الأرض لكن وطني هناك . . حيث المسجد والقبة . .

إنه أمر لا يتعلق بمكان الولادة ولا بزمانها ولا بالثقافة التي أشربها كل يوم في مدارسهم . .

إنه إيمان يتغلغل في خلاياي لا أملك منه فكاكًا . .

أنا لا أحب إلا هناك ، ولا أشعر بالراحة والانتماء إلا حين أرى صورهم على شاشات الفضائيات . .

رغم أنى لم أر من قبل شجرة زيتون لكنى أشم في أنفى رائحة

الزيتون القوية وكأن ذاكرتي تحمل ذاكرة وتاريخ ونضال أجدادي . .

وما دمتُ غريبًا مهاجرًا على كل حال . . فلم لا أهاجر إلى وطني ؟؟

أخيرًا استجاب والدي . . وأخواتي . .

وشددنا الرحال بعد أن نقلنا أعمالنا بالقدر الممكن إلى بلادنا عائدين . .

ولقد لاقينا من المصاعب في سبيل ذلك ما لاقينا . . لكننا في النهاية . . عدنا وكأننا نهاجر مرة أخرى . .

الهجرة المضادة .

(انتهى)

opeikandl.com

شكولاته... تمر

أثار اشمئزازي من أول وهلة.. لا لأن ملابسه توحي باستهتار الشباب..

ولا لأن صوته العالي الذي يُسمع عربة القطار كلها حين يتكلم يخترق أذني بصحبة ضوضاء القطار فأشمئز منه.. لا ولكن لشيءٍ ما لا أدرى كنهه تحديداً..

ربما شعره الأشعث وربما أقدامه المتسخة.. وربما كل هذه الأشياء معا؛ جعلتني أشيح بوجهي ناحية النافذة حين اقترب وهو يوزع نظراته الوقحة على جميع الجالسين...

اقترب أذان المغرب فأخرجت من جيبي قطعة شكولاتة وقسمتها نصفين، وبعد إلحاح خفيف على جارى في المقعد أخذ نصفها كي يعطيني ثواب إفطار صائم....

موعد الأذان الآن لكن الأذُن عاجزة عن سماعه بسبب ضوضاء القطار فلننتظر خمس دقائق أخرى.. كي نقطع الشك....

وفجأة وجدتُ تمرة تُلقى على حِجري مصحوبة بعبارة ذات صوت عال: صومًا متقبلاً.

ابتسمتُ في امتنان قائلاً: شكراً سيدي..

وحين نظرتُ إلى صاحبها حلت الدهشة مكان الاشمئزاز.. إنه

هو نفس الشاب بصوته وحركاته وملابسه، زاد على ذلـك أن جيوبـه منتفخة تكاد تسقط التمر على الأرض ، وكيسًا صغيراً في يـده يُخـرج منه ويُوزع على جميع من في القطار . . .

نظر إلىّ جاري في المقعـد نظـرة حـرج وتلعـثم وهـو يقـول: أأ . . أعتقد . . أن التمر . . . . سُنة والشكولاتة . . . .

فاتسعت ابتسامتي وأنا ألوك التمرة قائلاً: لا عليك . . .

. . وصومًا متقبلاً . . .

(انتهى)

obeikandl.com

رحلة في الزمن

قصة من التخيل العلمي

انظر إلى هذا السور الممتدّ ، سترى الجزء القريب كبيرا يحتل حيزاً ضخمًا في فراغ الصورة التي تراها عينك ، لكن ماذا عن الأجزاء الأخرى البعيدة؟

ماذا عنها؟

كيف تراها؟ هل هي بنفس حجم الأجزاء القريبة؟

طبعًا بنفس الحجم ، لكنها تبدو لعيني صغيرة.

وأنا أوافقك، السؤال الآن: لماذا تبدو أصغر مع أنهما بنفس الحجم. . والعين التي تراهما واحدة؟

لأن هذه قريبة والأخرى بعيدة. . . . إنها بديهة يعرفها الأطفال.

إذن فالأشياء القريبة تبدو للعين بحجمها الطبيعي أو أقل قليلاً بينما يقل حجمها كلما ابتعدت عن العين.

لا ، حجمها ثابت لا يقل ، لكن رؤية العين لها هي التي تختلف.

كنت أعنى: يقل حجمها في الصورة التي ترسمها العين وليس في الحقيقة ، ولكن لماذا؟

حتى نستطيع أن نفرق بين الأبعاد ونحدد المسافات ، ألا ترى

الفنان يرسم مدينة كاملة بجانب طفل صغير فيحتل الطفل نصف اللوحة والمدينة أقل من النصف الباقي؟

هذه هي النتائج لكنى أسأل عن الأسباب: لماذا يقل حجم الأشياء البعيدة؟

أجب أنت.

إنك ترى هذا السور عن طريق استقبال عينك للأشعة الضوئية الآتية منه بحيث تنتظم هذه الأشعة محتلة مساحة معينة على شبكيتك يترجمها المخ بعد ذلك فيظهر السور واضحًا لك.

و أنا متفق معك، لكن ما الفارق بين هذا الجزء القريب والآخر؟

الفرق أنك كلما كنت قريبًا من الشيء استقبلتْ عينك مقداراً أكبر من الأشعة الضوئية الصادرة عنه، بينما تستقبل مقداراً أقل من الأشعة إذا كان بعيداً ومقدار أقل بكثير إذا ابتعد أكثر لدرجة قد تصل معها أن لا يصلك من الشيء الذي تنظر إليه سوى شعاع واحد فيظهر على هيئة نقطة.

وهذا ما يحدث مع النجوم البعيدة جداً؛ فهي أصغر في نظر شبكيتي من رأس الدبوس بينما هي في الحقيقة أكبر من الأرض بل والمجموعة الشمسية كلها، أليس كذلك؟

صحيح وهذه هي فكرة عمل التلسكوبات.

ما هي؟

هي أن الفتحة الصغيرة في عينك ذات النصف قطر ملّلي واحد

حين نزودها بفتحة أكبر ذات نصف قطر أكبر تستطيع أن تستقبل مقداراً أكبر من الأشعة يتم تجميعها في مساحة صغيرة تساوى مساحة فتحة عينك فترى تفاصيل أخرى كنت تعجز عن رؤيتها بمقدار الأشعة الضئيل من قبل .

والعدسات هي التي تجمع الأشعة بهذه الطريقة .

العدسات المحدبة أو المرايا المقعرة ، وكلما زادت مساحة العدسة أو المرآة التي تستقبل الأشعة تمكنت من استقبال مقداراً أكبر من الأشعة تجمعه في نقطة أو مساحة صغيرة تلائم مساحة فتحة العين .

كل هذه معلومات مفروغ منها ، ما الجديد إذن في اختراعك؟

اصبر قليلاً . . وتخيل معي لو أن هذا الشعاع الذي يمكنك من رؤية الشيء . .

انتظر ، فشعاع واحد لا يكفى لرؤية الأشياء بل سيظهر على هيئة نقطة .

أوافقك . . فلتتخيل أنك تسير بسرعة شديدة في نفس اتجاه شعاع الضوء أو الأشعة كما تقول ، بسرعة تساوى سرعة هذه الأشعة .

تعنى بسرعة الضوء .

أجل . . كأنك مثلاً تركب فوق هذه الأشعة كأنها حصان ثم نظرت لها من هذا الوضع ، فماذا سترى؟

لا أستسيغ تشبيه الحصان هذا . . أستطيع أن أتخيل نفسي راكبًا بالفعل فوق مجموعة أشعة وحين أنظر لها فسوف أراها وكأنها

ثابتة . . . أليس كذلك؟

سوف تراها ثابتة بالفعل ، ولو أن هذه الأشعة التي ركبتها أنت كانت صادرة عنى فسوف تراني ثابتًا متجمدًا في مكاني بينما أنت سائر بسرعتك تتحرك بدون مشاكل ، أليس كذلك؟

أعتقد أن صورتك التي أستقبلها هي المتجمدة وليس أنت .

هذا ما كنت أعتقده أيضًا . . لكنك في هذه الحالة تكون سائراً بسرعة الضوء وهو الجدار الذي يفصل الزمن .

بمعنى؟

أنك حين تستقبل ـ كأي إنسان ـ الأشعة فإنك ترى الأحداث تسير للأمام باتجاه المستقبل والذي ينمو كل ثانية باستقبالك لأشعة أخرى وهكذا .

بمعنى؟

أنت تراني أحدثك وأتكلم لأنك ترى الأشعة الصادرة عني .

أفهم ذلك ، ولكن هذا ليس بمستقبل هذا هو الحاضر .

إننا نعيش في حاضر يتغير كل لحظة حيث تصدر الأشعة دون توقف منى راسمة صوراً تختلف مع كل لحظة تمر ، وبالتالي فأنت لا تستطيع أن تمسك اللحظة الحاضرة لأنك حين تحاول فستجدها أصبحتْ ماضيًا و أصبحتَ أنت في المستقبل بالنسبة لها ، وهكذا .

هذه نظرة فلسفية .

إنها الواقع يا صديقي ، إننا نعيش في عالم يتغير كل لحظة عالم

سريع للغاية أسرع من أن تمسك به ، صدقني نحن نعيش في المستقبل .

بصراحة لا أصدقك .

إنك تعجز عن تثبيت اللحظة الحالية إلا في حالتين .

إذا ركِبتُ شعاع الضوء . . والأخرى؟

إذا صورت شعاع الضوء ذاته بكاميرا فوتوغرافية ، ولكن دعك من الكاميرات الآن .

أنا لم أمسكها حتى أدعها ، لي الآن معك أكثر من ساعة ولم أصل إلى فكرة عمل الجهاز .

ركز معي . . نحن الآن متفقان على أنه لا يوجد حاضر و إنما ماضٍ مرّ ومستقبل متغير .

ربما . . فما زلت لا أستسيغ الفكرة . . وإن كانت أمي ـ رحمها الله ـ توصلت لهذه النظرية منذ زمن .

أمك؟ ! ! !

نعم كانت تقول لي إذا رأتني ألهو : لا تضيع مستقبلك .

مممممم . . والآن اركب هذا الجهاز الرائع وسوف ترى الحاضر .

مللت من تكرار كلمة : بمعنى؟

تستطيع أن تراني متجمداً لو ركبت هذا الجهاز .

هل تعنى أنك صممت جهازاً يسير بسرعة الضوء؟ !

أجل ، وكانت النظرية كالتالي : أنى حين أسير بسرعة الضوء

فسوف أرى الأرض متجمدة ، أما لو زادت سرعتي عن الضوء فسوف أستقبل أشعة سابقة صدرت عن الأرض .

تعنى أنك سترى الماضي؟!

نظريًّا نعم .

وعمليًا؟

تبين أن ما يحدث للأشعة البعيدة ـ نظرية السور ـ هل نسيتها؟

لا . . الأشياء القريبة والبعيدة . . ماذا عنها؟

تبين أنها حقيقة وليست خداع . . فكلما اقترب الجهاز بسرعته من سرعة الضوء انكمش حجمه في منحنى ثابت مماثل تماما لمنحنى السور .

وإذا وصل لسرعة الضوء؟

لا أعرف .

لا تعرف؟ بعد كل هذه النظريات والأبحاث والأجهزة . . تقول لي لا تعرف؟

لقد انكمشت الأجهزة التي أطلقتها بسرعة أقل قليلاً من سرعة الضوء ثم اختفت تمامًا حين وصلت لسرعة الضوء، ربما اكتسبت خصائص الضوء وربما اخترقت حدودنا إلى عالم موازٍ آخر وربما . .

انسحقت جزيئاتها تمامًا . .

احتمال .

والآن؟

سوف أعرف ماذا حدث . . . بنفسي .

ولكن هذا انتحار .

هذا طلب للعلم، و لقد أخذت تصميمات الجهاز معي فإن عدت فسوف نستخدمه على الوجه الأمثل، وإن لم أعد فلا أحب أن أكـون مسئولاً عن هلاك أي إنسان .

لكن . . انتظر . .

الوداع .

(انتهى)

obeikandl.com

الخروج من الزجاجة

أنا الآن جالس بالفعل داخل الزجاجة ومشكلتي الكبيرة هي أنى أريد الخروج إلى العالم الحُرّ كيْ أتنفس هواءً نقيًا خاليًا من الروائح الفاسدة التي تملأ الزجاجة. . والناتجة عن بقايا مشروب ما تبخرت تاركة أماكنها لزجة وباعثة في الكمية القليلة من الهواء المتواجد روائح غير جيدة. . .

ناهيك عن الاشتياق لزوجتي وأبنائي و عن رغبتي في تذوق طعم كوب من الماء المثلج النقي. . ؛ فها هو العطش يدعوني من جديد. .

ولأن العطش أكثر كفراً من الجوع فقد انحنيت على جدار الزجاجة الداخلي ولامسته ببطني كي ألعق بلساني أي بقايا لم تتبخر بعد أو تبخرت ثم تكثفت آلاف المرات. . فلم أزد إلا عطشًا كمن يشرب من مياه البحر. .

إن الطريق الوحيد للخروج هو هذه الفتحة التي كانت مغلقة منذ زمن لكنى حين قررت أن أفتحها كان الأمر أسهل مما أتصور، فقد أمسكت بالغطاء من الداخل ثم أدرته عدة مرات في اتجاه عقارب الساعة فانفتحت في سهولة. . .

لكن المشكلة الآن أن الزجاجة تضيق بشدة عند هذه الفتحة كي تشكل نفقًا صغيراً يتسع قليلاً حين يصل لنهايته حيث الفتحة التي تكفى لخروجي، أما ذلك النفق الذي يشكل عنق الزجاجة فلا أمل

من أن أعبره وأنا بحجمي هذا . .

لا مفر من أن أتضاءل أكثر . . . .

لكنى صغير بالفعل . . وهل يوجد للتقزم حدود؟

بإمكاني أن أتضاءل قليلاً . .

فلأمنع نفسي من الأكل والشرب لبعض الوقت .

ولا مانع من خلع الملابس فهي لا شك تزيد من حجمي .

و لأخرج من رأسي ذكرياتي و معتقداتي وآمالي كي يقل حجم مخي .

ولا مانع من التبرع بنصف الكبد كي يقل حجم جهازي الهضمي وإن كانت السموم ستزيد في دمى حينئذٍ . .

وهذا الصدر المنتفخ بإمكاني أن أمنع عنه الهواء لمدة ما ؛ كي يتضاءل حجم صدري الكبير رغم ضآلته . .

لكنى لو فعلت ذلك فسأنسى أساسًا لماذا فعلت ذلك . . وسأظل داخل الزجاجة . . وحتى لو خرجت سأكون ساعتها شخص آخر . . . لا ليست هذه حلول . .

لمَ لا أواجه الزجاجة بنفسي؟

لم أحاول الهروب منها عبر فتحة موجودة فيها لا تناسبني؟

لم لا أصنع أنا هذه الفتحة كما يتراءى لي؟

وحين قررت ذلك و أقدمت عليه وجدت التنفيذ ليس بهذه

السهولة . . فسيفي لم أستعمله منذ ولدت وبالتالي احتاج تنظيفه وإعادة جلائه إلى وقت و جهد كبير . .

و ما إن أحسست أنه جاهز حتى توكلت على الله ثم ضربت بالسيف الزجاجة . . .

لكنها لم تتهشم كما توقعت و إنما ابتلعت نصف السيف فقد كانت عبوة شفافة من البلاستيك و ليس الزجاج كما كنت أتخيل . .

إذن هي أضعف بكثير مما كنت أعتقد . . وما كنت سأعرف كينونتها لولا هذه المواجهة . .

حركت السيف للداخل والخارج كما يفعل بالمنشار اليدوي قاطع الأشجار، لكنى ـ رغم المجهود الكبير ـ لم أفلح سوى في صنع شق صغير جداً لا يكفى حتى لعبور يدي . .

بإمكاني أن أتضاءل الآن كي أعبر من هذا الشق . .

لكنى تركت العنق لأني لا أريد مزيداً من التضاؤل . . فكيف أعود؟ ثم ماذا؟ أعود بأكثر مما يتطلبه العنق نفسه؟ . . لا لن أفعل . .

سوف أواصل العمل بالسيف و إن أخذ هذا وقتًا كبيراً . .

أشعر وأنا أعمل وكأن ذاكرتي تنتعش . . وأعضائي تزداد قوة ونشاطًا وقلبي يعمر بالإيمان . .

لقد قررت أن أواصل العمل دون كلل حتى أخرج أو أموت . .

ومن عجب أن جسدي نما و كأنه شجيرة صغيرة وجدت العناية والرعاية فكبر وتضخم حتى احتل الزجاجة كلها تقريبًا، واضحى

التنفس أمرًا ليس باليسير . .

لكن وقتًا طويلاً لم يمر حتى وجدت يدًا عملاقة تمسك بالزجاجة وتثنيها فأكاد أعتصر بداخلها ولا يتحمل الجزء الذي صنعت فيه الشق بسيفي هذا الضغط الهائل فيتسع الشق ويتسع ثم تنفصل حوافه كاشفة عن العالم الخارجي . .

فأقفز بسرعة دون أن أنظر ورائي وقد أصبح جسدي في الحجم الطبيعي . .

و أشكر الله . . فقد امتلأت رئتي بالهواء غير الفاسد الذي اشتقت إليه . . .

منذ ولادتي .

(انتهى)

obeikandl.com

جهاز إسرائيلي يعرى النساء الفلسطينيات

كعادتي حين أعود إلى المنزل وبمجرد دخولي أقوم بفتح جهاز الكمبيوتر الذي يستغرق عدة دقائق كي يصبح جاهزاً للانفتاح على الدنيا من خلال شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أقوم خلالها بأخذ حمام سريع غالبًا وتناول الغذاء سريعًا، ثم أجلس في لهفة لأطالع رسائلي الإلكترونية والتي نادراً ما تكون رسائل خاصة من أشخاص يعرفوني تحديداً، وإنما أغلبها تكون رسائل إعلانات عن منتجات أو مواقع أو مسابقات أو حتى عن بريد إلكتروني آخر . . .

وقد اشتركت في الآونة الأخيرة في عدة مجموعات بريدية تصلني منهم بانتظام رسائل جلها مفيد.

. . . . . جهاز إسرائيلي يعرى النساء الفلسطينيات . . . .

طالعت العنوان فاهتز جسدي كله كمن تلقى صفعة على وجهه فدخلت فوراً على هذا الموقع كي أجد موضوعًا قصيراً يتحدث عن جهاز تستخدمه وسائل الأمن الإسرائيلية عند معبر رفح . . يحدد صورة الجسد البشرى تحت الملابس دون الحاجة لخلعها فتظهر بسهولة أية أسلحة أو متفجرات على هيئة انبعاجات واضحة . .

و أن الجهاز متعارف عليه دوليًا و يستعمل في مطارات عدة دول . .

حاولت أن أقنع نفسي أن الأمر لا يتجاوز تحديد للجسد على

شاشة الجهاز ولا يعنى هذا أنه صورة ملونة مثلاً لأجساد النساء . . . إنما هو مجرد تحديد . .

واسترحت لهذه الفكرة . . فهم لا يجرءون على فعل فاضح لنساء فلسطين، يمس شرف الأمة كلها . .

. . هكذا أقنعت نفسي . . .

في المساء . . . جاءت والدتي و أختي الصغرى لزيارتي محملين بالفطائر التي أحبها وحين نزلت بصحبتهما كي أوصلهما بسيارتي إلى المنزل الذي لا يفصله عن منزلي سوى محطة واحدة . .

استوقفني رجل أمن بملابس مدنية بصحبة مجموعة من العساكر في كمين صغير عند أول الشارع . .

فابتسمت له موضحًا أنى ساكن بالمنطقة أقوم بتوصيل الحاجّة . .

جاوبني بأن مدّ رأسه داخل السيارة متطلعًا لأختي الجالسة بالخلف . .

أحسست أن نظراته تخترق جسد أختي من فوق ملابسها الكثيفة فرفعت يدي بحركة عصبية كي أجعلها حاجزاً بينهما، ثم أوضحت في لهجة من نفد صبره . .

أن هذه أختي، فهل هناك مشكلة !!

عدت إلى المنزل وحين كانت زوجتي ترتدى قميص النوم كنتُ أنا أفكر : ماذا لو استخدم ذلك الرجل مع أمي وأختي الجهاز الإسرائيلي إياه؟

ثم نظرت إلى زوجتي الراقدة بجواري . .

ماذا لو استخدموا ذلك الجهاز على زوجتي؟

. . وجدتني أشتعل غـضبًا . . ولم أملـك إلا أن أميـل علـى أذن زوجتي هامسا لها قبل أن تنام : ـ ادعي لأخواتك في فلسطين .

(انتهى)

obeikandl.com

(الطَّرَفُ الآمِن)

كَم أُحبّ هذه اللعبة . . . وأشتاقُ إليها بصُحبة حبيبتي . . حين نُتابعُ المياهَ المُتدفقة فوقَ الأرض الترابية التي تتحول تدريجيًا إلى أرض رطبة ثم طينية ثم يغلبُها الماء فتصبح وَحْلاً يرتفعُ في مناطقَ وتجرى المياه حولَه في مناطقَ أخرى . .

. . هيييه . . . . أين هي الآن كي تتابعَ معى قطرات المطر السريعة تتقافزُ فوق برك الماء الصغيرة التي ستصل إلى ارتفاع معين يجعلها تنهار عند أضعف جدار لها كَى تلتحمَ مع بركة أخرى أو تساهم في زيادة سرعة جريان المياه . .

. . . أجلسُ في شرفتي ولا أحاولُ تفادى القطرات غير المباشرة التي نجحت في الارتداد عن سور الشرفة المعدني أو تلك التي يحملُها تيارُ الهواء فجأة مخالفًا اتجاه الأمطار العام وكأنه يقصد وجهي بالتحديد . .

ولأن شرفتي بالطابق الأرضي فأنا أرى بسهولة تفاصيلَ الأرض الطينية أسفل الشرفة وقد احتلتها أنواعٌ مختلفة من النباتات في غير نسق ولا ترتيب، وكثيراً ما تأملْتُ هذه المزروعات القصيرة الَصغيرة وتخيلتُ نفسي عقلة الأصبع ؛ أمشى وسط هذه الشجيرات النحيلة فتبدو لي وكأنها غاباتٌ باسقات وهذه الأعشاب الواهنة نباتاتٌ استوائية كثيفة النمو، عظيمة الارتفاع ذات أوراق كبيرة

وسميكة . . . .

أحيانا أندمجُ في التخيل فأرَى حبيبات الرمال الصغيرة أحجاراً عظيمة . . تلتف حول بدايات سيقان الورود وحين يروى خرطوم المياه هذه الحديقة الصغيرة المحيطة بالمنزل أرى المياه كأنهار متدفقة بينابيعها ومصباتها . .

وربما استطردْتُ فرأيْتُ الأنهارَ تصنعُ أخاديدَ وطرقًا واضحة خصوصاً في الأجزاء الجرداء من أرض الحديقة وهي تلك الأجزاء القريبة من شرفتي ومن الممشى الحجري الذي يخترق الحديقة كي يصلَ بابَ البيت بالبوابة الرئيسية ؛ فيبدو لي كسلسلة جبال طويلة تزخر سفوحها بالمعادن الغنية بدليل هذه الحُمرة التي تَظهرُ بوُضوح على امتداد شواطئها . .

وقد أعجبني هذا الاستطراد فابتكرْتُ وزوجتي لعبةَ الخرائط . .

وكم جلسنا في هذه الشرفة نلعب لعبة الخرائط . . حين يهطل المطر وبطريقة عشوائية تختلفُ تماما في كل مرة . . نرى أشكالاً مُتميزة ترسمُ الأخاديدَ حولَ الأحجار الصغيرة والنباتات وآثار أقدام الأطفال الذين تجاوزوا الممشى الصخري وداسوا على الأرض الترابية وهم يلعبون . .

كنت في صغرى أحب لعبة (حيوانات السحب) بالتأمل في قطع السحاب الأبيض نهاراً وتمْييز أشكالها إلى أشياء وحيوانات مختلفة وكذلك لعبة (كلمات النجوم) ليلاً بكتابة كلمات كاملة على صفحة

السماء مستخدمًا النجوم، إلى أن أضافت زوجتي الحبيبة لعبة الخرائط حين يهطل المطر . . فأصبحنا نميز سويًا خرائطَ كاملة للبلدان والقارات . .

وكأن هذه الأجزاء الجرداء أمامنا خريطة مجسمة بل متحركة . . ومتغيرة حيث كنا نميزُ في نوبة المطر الواحدة عدةَ خرائط . .

كثيراً ما اتهمَنا الأصدقاءُ بالهلوسة أو الخيال شديد الجموح على أقل تقدير لأن أحداً لم يكُن يَرى هذه الخرائط . . بينما كُنْتُ أراها أنا وزوجتي بوضوح حقيقي . . ربما لتخصُّصنا الدراسي المُشترك . . وربما لأن تفاهمناً النفسي يصل إلى مرحلة التوحد في استقبال المُؤثرات الخارجية فينطبع الخيال من رأسنا وكأنه خارج من رأس واحدة . .

أو ربما فقط لأننا نُريدُ أن نلعبَ كالأطفال ونعرف جيداً أنه لا شيء من هذه الخرائط حقيقي . .

لكن هذه المرة الأمرَ مختلفٌ . .

فالرسمُ أمامي واضحٌ لا جدال في ذلك . .

نعم هذا هو الجزء الغربي من قارة أوربُا . .

وهذه الأرضية الجرداء تحت قدمي هي شمال غرب أفريقْيا . .

هتفْتُ عاليًا باسم زوجتي . .

فجاءت حفيدتي الصغيرة ذات العيون اللامعة والبشرة البيضاء الناصعة . . تريد أن تجذبني من عصايَ كي أدخل وأبتعد عن المطر . .

نظرْتُ إليْها وكأني أرى زوجتي في عيونِها الصغيرة وأُمسكُ بيدها

البضة فتستدير كي تـواجهني وهـي تحـاولُ إخفـاء وجههـا بيـدها في حركة متوترة. . فأضع يدي على خصلات شـعرها وأهَمـس لهـا أن المطرَ هناك في الخارج. . ولا خوف علينا من البلَلِ هنا. .

ثم أشير إلى أرض الحديقة المبتلـة وأوضـح لهـا كيفيـة اللعـب وأن جدتَها عليها رحمة الله كانت تحب هذه اللعبة. . بل هـي صـاحبةُ حـقِّ اختراعِها. .

فتبتسم وتلمع عينُها في ذكاء مجيبةً عن سؤالي أن هذا الجزء الـضيق من المياه الذي أشير إليه هو ببساطة مضيقُ جبل طارق. .

ولا أصدقُ أنها قالت ذلك. . . فأطلُبُ منها أن تُكرر. . .

كي تشرحَ لي أن بركَةَ المياه العريضة هذه تشبهُ تماماً البحرَ المتوسـطَ وبالتالي يكون هذا الجَزءُ الضيقُ هُـو مـضيقُ. . . وتنتظـر قلـيلا ثـم تكمل. . جَبل طارق. .

فأحتضنها سَعَادَةً بِها وأهمِسُ أنها أشبهُ النـاس بالمرحومـة شـكلاً وعقلاً. .

ويبدو أن اللعبة راقت لها؛ لأنها تركت عصايَ والتفتَـتْ تمامـاً إلى خارج الشرفة مُصعِّدة نظرَها نحو سور الحديقـة حينـاً ومـصوبة إيـاه ناحية البوابة التي بدأت تحدث أصواتاً مزعجة بفعل الارتطـام القـوى لقطرات المياه بأجزائها المعدنية. .

بينما رحتُ أنا أتأملها. .

وجهَهَا الجانبي وهي تدور بنظرها باحثـةً عـن خـرائط جديـدة. .

حين انتزعتني إشارتُها المفاجئة وصيحتُها أن أنظرَ هناك . .

صوبْتُ نظري إلى حيث تشير . . فلم أتمكنْ من رؤية جديد . . إن المضيقَ كما هو منذ دقيقة كاملة . . لم تنجحْ الأمطارُ في تغيير معالمه بعد . .

لكنها شرَحتْ لي . . هناك نملتان من النوع الفارسي الكبير . . تسيران على أرض الخريطة وَسط الأمطار في ثقةٍ وهدوء وهما شِبه مُلتحمَتَيْن . .

لم يكن الأمرُ خارقاً بالنسبة لي فطالما تابعْتُ أسرابَ النمل المهاجر بين أجزاء الحديقة مع زوجتي . .

اعتذرْتُ لها إنني رجل كبير ولم يبقَ من نظري ما يُبَين هذه التفاصيل . . لكن احك أنت لي . . ماذا تصنع النملتان؟؟ ! !

فواصلَتْ الفتاةُ وصفَها المميز لحركة النملتين الواثقة وأنهما يقتربان الآن من مضيق جبل طارق، وفي جرأة هبطا فيه بأقدامهما وها هما يعبرانه . . . لكن جريان المياه قوي وربما يجرفهما في أية لحظة . .

وهنا وجدْتُهَا لدهشتي تنتزع عصايَ بسرعة فأتركها في استسلام؛ كي تمدَّها ناحية الطين فأهتف بها أن تصفَ ما تفعله فأنا بالكاد أرى نهاية العصا . .

لكنها لا تجيب وكأن ما تفعله قد استغرقها تمامًا فلم تستمعْ لسؤالي . .

وقبل أن أكرر طلبي تندفعُ شارحةً أن النملتين كادتا أن تغرقا في المحيط بعد أن جرفهما الماء المَندفع عند المضيق لكنها استطاعت أن تعينهما بطرف العصا وتعبر بهما إلى الأرض مرة أخرى بسلام وحين سألتها وهل عبرا إلى أفريقيا أم العكس أجابت دون توضيح لقد عبرا إلى الطرف الآمن . .

ثم أضافت في لهجة محايدة . . المضيق كما أراه قد غابت معالمه وأضحت القارتان قارةً واحدةً . .

تنهدْتُ قائلاً :

هييه كنا نتابع هجرة النمل كثيراً أنا والمرحومة . . تعرفين قُبَيْلَ موسم المطر يهاجر النمل من المنطقة المنخفضة إلى الطرف الآخر المرتفع . . والعجيب أننا كنا نراه يحمل على ظهره أشياء عديدة . .

تعنى غذاء . . .

لا أدرى كنهها، لكنها لا شك أشياء مفيدة جداً له وضرورية كي يواصلَ حياتَه في موطن هجرتِه . .

ثم يعودُ بعد ذلك؟ ! !

في الواقع لم أرهم يعودون . . ربما لأننا لا نجلس في الخريف هذه الجلْسَة . . فلا نتمكن من رؤيتهم، أو أنَّهم يأمنوا في هذه الأطراف الجديدة فيواتيهم أجلُهم قبل أن يفكروا في العودة . . . . لكن ماذا عنَ النملتين؟

دارَتْ بعينِها قليلاً ثم بدون اكتراث أشارت بالعصا إلى الأعشاب مجيبةَ

لقد اختفيا . .

رَمَقْتُ الجزءَ الذي كان يرسم أورُبًّا بنظرةٍ أخيرة وقد اشتدَّ بي الحنينُ؛ فزوجتي الحبيبة كانت من هناك . .

أطرقْتُ برأسي مستجيباً لها هذه المرة ودخلْتُ متكئًا عليْها . . حيث لفنا دِفْءُ البيت . .

(انتهى)

obeikandl.com

سوق الثلاثاء

(فائزة بمسابقة القصة القصيرة جدًا.. مجلة ثقافة بلا حدود)

ذهبت المرأة المكافحة التي تعول خمسة عشر طفلاً يتيمًا إلى سوق الثلاثاء كي تشترى حاجيات الأسبوع . . وفى الطريق مرت على دكاكين عديدة أغلبها لم يفتح أبوابه بعد فلم تلتفت إليها ، كما مرت على مراتع خضراء اصفرت أجزاء كثيرة منها بسبب استخدامها فى لعب الكرة من قِبَل الأطفال والشباب ورأت بها بقرة تمشى الهوينى يجذبها حبل طويل غليظ ينتهي إلى يد خشنة لفلاح شيخ ، ذكّرتها صورته بصورة والدها الذي لم تره يمشى على قدميه دون مساعدة قط . .

كادت أن تدهس قرصًا كبيراً من مخلفات الجاموس افترش الأرض وأخرج بخاراً خفيفًا دلالة على أنه حديث التخرج ، لم تتغلب الشمس بعد على الضباب القوى الذي سيطر على المكان بعد أن ابتعدت قليلا عن المساكن . .

وصلت أخيراً إلى السوق فلم تجده . . . لقد كان اليوم الاثنين . . . .

(انتهى)

أبوك الإسكندر

(فائزة بمسابقة القصة القصيرة جدًا.. مجلة ثقافة بلا حدود)

قل لي هل تستطيع أن تحكم العالم ؟

ماذا تقصد ؟

أعنى : لو أن والدك ـ مثلاً ـ كان الإسكندر الأكبر . .

ثم قُتِل وورثتَ أنتَ العرشَ . . تحت يدك جيوش جرارة . .

وقوة بشرية غير عادية . .

وأرض تبلغ المشرق والمغرب . .

فهل تستطيع أن تحكم العالم وتسوس أمره ساعتها؟

بالطبع نعم .

آه . . ولا تستطيع الآن ـ في الثانوية العامة ـ أن تحصل على مجموع كبير . .

يا لك من متحذلق . . .

(انتهى)

obeikandl.com

يتيمة

(فائزة بمسابقة القصة القصيرة جدًا.. مجلة ثقافة بلا حدود)

إذا زرت دار الوفاء والأمل للطفل اليتيم ببور سعيد ستجد في الطابق الثالث وسط الأطفال اللاعبين في مرح وبراءة طفلة واحدة شديدة الجمال تجلس فى سكون لا تتحدث مع أحد . .

ولا تجيبك إذا كلمتها وكأنها لا تسمعك أساسًا ، و إذا حاولت أن تتعاطف معها بقبلة على وجنتيها أو ابتسامة حب صادقة مصحوبة بتمليسة بطيئة على شعرها الرائع ، أو إذا أخذتك الحمية فرفعتها في خفة كي تضعها فوق كتفيك وتمكنها من رأسك فسوف تدير هي رأسك إليها كي تثبت عينيها في عينيك فتجد ابتسامة هزيلة تعلوها دمعة ثقيلة وعبارة متسائلة يائسة تقول : أنت والدي ؟ . .

(انتهى)

عنده لطف

(فائزة بمسابقة القصة القصيرة جدًا.. مجلة ثقافة بلا حدود)

هذا يستحق الصدقة . . .

أخرجت ورقة مالية من جيبي ودسستها في كفِّه؛ فاعتلت وجهه ابتسامة مشرقة جعلتني أعيد تأمل ملامحه، وعينه التي تصطدم بوجهي ثم ترتفع إلى السماء، ثم تعيد الكرّة . .

وفمه يردّد كلمات مبهمة، ثم انطلق في سرعة يحجل بخطواته المميزة . .

وكأنه يعرف طريقه جيداً . .

فتابعته بعيني قليلاً كي أراه يدس الورقة المالية في صندوق الزكاة، ثم ينظر إلى سماء المسجد و ينظر إليّ . .

ثم يبتسم . .

(انتهى)

obeikandl.com

جهاز الإنذار

(فائزة بمسابقة القصة القصيرة جدًا.. مجلة ثقافة بلا حدود)

أرى من نافذتي المتوسطة الارتفاع كلبًا ضالاً يهز ذيله وهو جالس فوق مقدمة سيارتي . .

كيف فعلها دون أن يوقظ جهاز الإنذار بها؟ ! !

ومن آخر الشارع جاءت كلبة متوسطة الحجم تمشى وسط الشارع في ثقة . . هل أصبح حيّنا مأوى للكلاب الضالة؟ ! !

أسمع صوت ضجة مميزة تشبه صوت ارتطام حجر بأرضية شرفتي فأعلم أن بائع الجرائد رمى بالجريدة الملفوفة بإحكام (بأستِك) و ألمحه يظهر من خلف الشجرة كعادته يوميًا . .

هذا الشاب خريج كلية الشريعة والقانون . . ابيضت في رأسه شعيرات و لم يتزوج بعد . . هذا ما أخبرني به بعد أن طلب منى أن أتوسط له في عمل . .

قفز الكلب فوقها حين اقتربَتْ منه في وسط الشارع و في وضح النهار . .

انطلق جهاز الإنذار في هذه اللحظة . .

(انتهى)

إضاءة تاريخية

اشتريت بأول مبلغ أقبضه في يدي (أباجورة) . . .

كانت تراودني في فاترينة العرض منذ زمن قريب . . . .

فهي من النوع الذي يمكن تثبيته في الحائط ، وكانت الفكرة أني سأثبتها خلف كرسي المكتب بحيث تطل من أعلى كتفي بجانب رأسي فتضيء المكتب تمامًا . .

لم أكن بحاجة إليها بسبب ضعف الإضاءة في حجرتي ؛ فالمصباح الكبير يعلو المكتب ويغنيني عن أية إضاءة زائدة . .

لكنه على قوته يفتقد إلى الحس الجمالي . .

كم تخيلتُ الغرفة وقد أطفأتُ ذلك المصباح الغبي ومضيئًا تلك (الأباجورة) الخافتة التي تركز الإضاءة على المكتب فقط . .

وتصنع للكتب ظلالاً كبيرة على الحائط . . فتضفي على المكان لمحة تاريخية وكأني جالس مع الأصمعي في محرابه تكاد تقع علينا الكتب الثقيلة المتراصة على أرفف خشبية غليظة شبيهة بأرفف مكتبتي العتيقة التي صنعها جدي منذ زمن كي تستوعب كتب أبى . .

إنه جو تاريخي يشعرني أنى واحد من هؤلاء الذين وجدوا أقصى متعهم بين الكتب

جو يشجعني على مواصلة العمل . .

لكنها كانت غالية . . بالنسبة لإمكاناتنا المادية . .

ولم يكن ثمنها هو سبب رغبتي في امتلاكها وإنما تصميمها المبدع الذي يأخذ شكل فرع من شجرة يمتد في التواءات خلابة تنتهي بأوراق بحيث تغطى كل ورقة مصباحًا صغيرًا لا يكاد يظهر من تحت الورقة . .

ولم أر في أي مكان واحدة كهذه . .

وبالتالي فقد توجهت بأول مرتب لي وأنا أخشى أن تكون قد بيعت أو غلا سعرها . .

وبذلته كاملاً لشرائها دون تردد . .

لم يبخل على البائع فقام بتغليفها وربطها بإحكام وتزيينها ببعض الشرائط وكأني سأهديها لأحد . .

ثم عدت للبيت سريعًا بعد أن عرجت على جارنا الودود فأخذت مسمارين بمحور واستعرت الشنيور الكهربائي .

ثم صعدت إلى شقتنا في وثبات سريعة وكُلي شوق لتثبيتها وتشغيلها .

فتعثرت لسرعتي وفقدت يدي توازنها لحظة كانت كافية لسقوط الأشياء وتدحرجها على سور السلم كي تهوى من ارتفاع عشرة طوابق في بئر السلم . .

أصابت الشنيور بعض الخدوش البسيطة أما هي فقد تهشمت

تمامًا . . وهى بداخل علبتها الجديدة ذات الشرائط والزينة المحكمة الإغلاق . .

(انتهى)

obeikandl.com

أنفـــاق

تشكل الضوضاء العالية خلفية مزعجة اعتادتها أذني فلم تنتبه إليها إلا حين شذ نفير عال متصل أشعر أنه موجه لي أنا بالذات فأسرع الخُطَا دون أن ألتفت لمصدره، وهكذا في خطوات سريعة واثقة أعبر الميدان كي أواجه مدخل المحطة الأرضية وقبل أن ألتهم سلالم المحطة تمر عيني سريعًا على بائع الساعات والمتسول ذي اليد المسلوخة وبائع الولاعات والملابس الداخلية، ولا ينجح في شد انتباهي سوى بائع الصحف والمجلات فأقف أمامه برهة أطالع بعيني العناوين سريعًا . . وتنقبض خلايا وجهي في امتعاض حين أرى صورة ـ تكررت كثيراً ـ لكلب يتبول على أسد تثقله الأغلال ويزداد انقباضي حين أرى صورة لمجموعة كلاب تقف كاشفة عن أسنانها القذرة أمام أنقاض أحد البيوت لكني أبتسم في سخرية حين أرى كلمة صفر وقد احتلت عنوانًا كبيراً بإحدى الصحف الرياضية وكان تمثال رمسيس(*) هو آخر لقطة في سماء الميدان ترصدها عيني قبل أن أهبط مع أمواج البشر إلى المحطة . .

التكييف في هذا الجو يعد اختراعًا مدهشًا وأنفاق المحطة لا تخلو منه، كما لا تخلو من الإعلانات الكبيرة في كل اتجاه . .

(*) كتبت هذه القصة قبل ترحيل تمثال رمسيس لمكان لا يعرفه أحد.

رباه ما أجمل هذا الإعلان . . إن الشاب المفتول يشرب بنهم شديد شيئًا مثلجًا ويعتلي في نفس الوقت موجة بحر عالية باستخدام لوح رياضي رشيق . . إنه أحد أحلامي ـ حين كنت أحلم قديمًا دون قيود ـ أن أخوض البحر وأن تضايقني الأمواج في عاصفة رهيبة أتغلب عليها ، الأمر الآن لا يختلف كثيرًا؛ فأنفاق المترو تبتلعني كالبحر وأمواج الزحام تضايقني كثيرًا، لكنى في الواقع أحب هذا المكان ربما بسبب السرعة المنظمة، أو لأني ما لم أكن أتقدم فأنا أتأخر، والمترو دائمًا يتقدم نحو هدف واضح . .

إحساس رائع أن أكون تحت الأرض . . لو أنى أملك النظارة ذات الأشعة تحت الحمراء أو عين سوبرمان البطل الأمريكي الصنع لرأيت الآن المترو القديم يسير فوقى ورأيت بائع الأخبار يسير فوق الجميع، أجمل ما في المترو المحطات تحت الأرضية، وأجمل ما فيها أنها تخلو من المتسولين ، لو أن الشهيد ياسين البطل ذا الشلل الرباعي والذي يعجز عن إبعاد ذبابة عن وجهه احترف مهنة التسول لحقق ثروة هائلة . .

حين وصل تفكيري لهذا الجزء وضعت ذراعي الأيمن ـ وأنا جالس ـ فوق فخذي وتأملت تناسق العضلات فيه وقبضت على تذكرة المترو بقوة كي تنتفخ أوردتي في مشهد أحب أن أكرره من حين لآخر، لكني رفقت بحال التذكرة الرقيقة فأخرجتها من بين أصابعي دون أن يمسها أدنى أذى . . .

ملساء هي ومرنة ولا غنى عنها ـ تمامًا كالمرأة ـ للدخول أو الخروج من الأنفاق، وضعتها في جيب القميص حين دوى صوت

عجلات المترو معلنًا وصوله وبقوة الدفع (لا المشي) وجدت نفسي داخل إحدى العربات وقد التصقت الأجساد أو كادت . .

كنت أتمنى أن أكون جالسًا الآن كي أفسح مكانًا لهذا الطفل الرضيع هو وأمه أو جدته لا أدرى فهي أكبر من أمي سنًا لا شك، أحاول دائمًا أن أغض بصري داخل العربة لكنه يصطدم برغم إرادتي بعشرات النساء . .

كنت آمل أن يخف الزحام في المحطة التالية لكنه ازداد حتى إني ازددت التصاقًا بالباب، على يساري شاب يحمل مصحفًا صغيراً يكاد يلصقه في وجهه، استحسنت قراءته حين ميزت بعض الآيات، وحاولت أن أحصل على هواء جديد من الشباك المفتوح على يميني وأنا قابض على الجزء المعدني من الكرسي في قوة كي لا أترنح مع فرملة المترو، وإن لاحظت أن أحدهم قصير القامة يميل بشدة على زوجته الشابة حتى ليكاد يوقعها أكثر من مرة ، طالعت التذكرة في جيبي فوجدتها في أسوأ حال . . .

ثم بدأ الزحام يخفّ تدريجيًا بعد المحطة الرابعة فوجدت الزوجة تطلب ممن اعتقدته أنا زوجها أن يبتعد قليلاً فلقد خف الزحام، وهنا ولدهشتي أنا وجميع الركاب وجدت الرجل يعيب فيها وفى النساء العاملات جميعًا وقبل أن أتصدى له وجدت رجلاً عظيم الجثة ـ يقف خلف المرأة موليًا إياها ظهره ـ يخبره في هدوء أنه زوجها وإن لم يبتلع لسانه فسوف يجعله أضحوكة المترو . . وفعلاً لم ينطق القصير بكلمة حتى إني ابتسمت وكل من تابع الموقف . . .

وبمجرد أن هبط ذلك القصير من المترو وتأكد أن الأبواب قد أغلقت وجدناه يقترب من الشباك ويصيح بألفاظ تمس عرض المرأة وزوجها . . نقلت نظري بينه وبين الزوج فوجدته يبتسم في ثقة وكأنه يقول : كلب ينبح فلا تلتفتوا له . .

لكن ذراعي رفض الفكرة فوجدت يدي اليمنى تمتد بسرعة من الشباك كي تقبض على عنق القصير لكنها تفشل ولا تنجح سوى في إمساك القميص ، وهنا كان المترو قد بدأ في التحرك بالفعل و . . .

ومرت اللحظات كدهور . . فيدي قابضة على القميص بشدة وهتاف بعض الركاب أن أتركه فهو كلب لا يستحق غضبي اختلط بالنباح خارج المترو . . .

وصلت الآن حلمية الزيتون فنزلت في خطوات لم يفارقها الغضب بعد . . . وكلما تذكرت نظرته المذعورة وتوسله وهو يجري كي يجارى سرعة المترو ، وحين تركته فتدحرج على الأرض وقام مسرعًا كي يعلو سبابه مرة أخرى دون أن يصلنا منه شيء . .

أزداد غضبا وأتمنى لو فرملت المترو ونزلت له كي أؤدبه . .

ومرة أخرى تطالعني صورة الكلب الذي يبول على الأسد ، والكلاب الواقفين على أنقاض بيت تهدم حديثًا فيزداد غضبي حتى أكاد أنفجر . . . . .

أريد أن أفعل شيئًا . . . الآن .

أحدهم يهمس في أذني : تحب أخذ ثواب؟

أطالعه بدهشة كي أجد رجلاً في عمر والـدي، وقبـل أن أفحـص باقي جسده أجيب بعفوية: طبعًا..

... أنظر إلى الدم وهو ينساب في نعومة من وريـدي المنـتفخ عـبر أنبوبة شفافة كي يملأ كيسًا صغيرًا فأشعر براحة كبيرة... وأبتسم..

ثم أتابع حوار الطبيب الـشاب وهـو يحـاول أن يقنـع سـيدة تقـف خارج سيارة الإسعاف بأن ضغطها منخفض ولا تصلح للتـبرع بينمـا تجادله هي محاولة إقناعه بالتبرع وأنها تتلقى علاجًا منتظمًا وقد أخبرها طبيبها المعالج أنه لا مانع من التبرع بنصف لتر...

وما زال الطبيب يشيح بوجهه ويحاول إقناعها..

.. استرخيت في المقعد..

واتسعت ابتسامتي.

(انتهى)

مندوب مبيعات

يطيل النظر إليّ ، لا . . إن عينه تقتحم جسدي كله اقتحامًا من خلال الثقبين الصغيرين في أعلى وجهي .

والقاعدة ترن في أذني : حين ينظر إليك . . يجب أن تثبت عينيك في عينيه حتى يبتعد هو . .

لكن تبًا لهذا الشخص إنه لم يبتعد . .

إنه حتى لم ينظر إلى الأباجورة ولو نظرة عابرة رغم أن يده تقلبها وتعبث بأزرارها وتفرد السلك الطويل وتثنيه . .

لقد اعتدت نظرات الناس ـ أو العملاء كما أحب أن أسميهم ـ لكنها عادة تحمل التساؤل أو الدهشة المختلطة بالإعجاب لقدرتي على تتابع الكلام السريع والمنظم، وأغلبها تحمل الكثير من الشك، وربما حملت بعض التعالي أو حتى الاشمئزاز، مع أنى لم أكن أبدًا لزجًا، فلو أشاح العميل مجرد إشاحة بوجهه ستجدني أنصرف سريعًا قائلاً: شكرًا لسيادتك . . . ألف شكر

لكن هذه نظرة جديدة أستطيع أن أصفها بأنها ثقيلة . .

أنا أتجاهلها وأواصل الشرح وأبذل مجهودًا جبارًا كي أشد عضلات وجهي وأصنع ابتسامة خفيفة أمنعها من الارتعاش كي تبدو واثقة وأنا على وشك الانهيار أمام هذه النظرة التي بدأت تثير ضيقًا

كبيراً في نفسي كأن أحدهم يضع ثقلاً كبيراً على صدري.

حتى إن الكلام بدأ يأخذ رنة آلية وكأني أستظهر وِردًا قديمًا من المحفوظات أقوله دون تفكير.

لكني لم ألبث أن تجاوزت بسرعة هذه الآلية، وعادت يدي لحركتها حيث انتزعت منه الأباجورة ـ كما تعلمنا ـ حتى يشعر العميل أنه فقد شيئًا..

لكنه أطبق يده عليها.. فلم تفلت منه.. وهنا فقط سكت لحظة..

وقد أطبقت أنا أيضًا يدي على الأباجورة.. وخلال هذه اللحظة الصغيرة من الصمت كانت عيني مثبتة إليه بطريقة لم تحدث لي مع شخص من قبل قط.

وقبل أن تنتهي اللحظة وجدته يبتسم ـ لدهشتي ـ لأول مرة ويرخي الأباجورة فجأة، ثم يقول لي بود كبير وكأنه يعرفني منذ زمن: أنا لا أحتاجها فعلاً... شكراً.

كنت أود أن أنفعك.. لكن... شكراً

وبالمناسبة.. أنت..

ثم تردد قليلاً وتابع قبل أن يُطرق برأسه وينصرف: أنت تمتلك شخصية قوية.

(انتهى)

أسلوب شاعر

أنا شاعر موهوب . .

أمتلك حسًا مرهفًا وعقلاً ناقدًا ودراسة طويلة مصقولة ، كما أنى أمتلك أسلوبًا مميزًا . .

باختصار جمعت كل الصفات التي تؤهل لي مكانة أدبية رفيعة . .

وهذا بشهادة الجميع وخصوصًا الأستاذ الدكتور ـ الذي لـن أذكـر اسمه لدواعٍ أمنية ـ الذي أخبرني أنه سيفخر بأستاذيته لي يومًا ما . .

لكنى لم أحظ بهذه المكانة . .

في الحقيقة أنا لم أحصل على أي مكانة تذكر ، رغم أنـى شـاركت بنماذج من أعمالي في المسابقات المحلية والدولية وراسـلت كبريـات المجلات الأدبية والصحف لكنى لم أفز بأية فرصـة للنـشر فيمـا عـدا مرة واحدة في إحدى مجلات الإعلانات باب (مواهب) أرسلها باسمى أخي الصغير ، وقد عنفته بشدة على هذا ؛ فأنا لن أنحدر لهذا الحد . .

وفى إحدى الأمسيات الشعرية بقصر ثقافة الحي كنت ثائر الـنفس بسبب وضعي مع مجموعة من الأنصاف ـ كمـا أسـميهم ـ يتكلمـون من أجل الكلام فقط . . نصف كلامهم هراء والنصف الآخر لم يصل حتى إلى مرتبـة الهـراء . . يـضعون بـضعة كلمـات لـيس لهـا علاقـة بالوسيط ولا بالمحيط ولا حتى بالوجيز . . كلمات مبتذلة بعيـدة عـن اللغة أو تحمل اسم اللغة لكنهـا مبهمـة لا يربطهـا رابـط ولا تحكمهـا فكرة حتـى أصـبحت الميوعـة الأدبيـة هـدفًا تحـت شـعار الحداثـة . .

وكذبوا . .

فالحداثة منهم براء . . هم أساسًا لا يعرفون معناها . . إذ كيف تتحدث عن الجديد وأنت لا تجيد بل لا تعرف القديم؟

إن فنانًا عظيمًا حين يخلط بضعة ألوان في حرفية وإتقان ويخبرني أن هذا عمل حديث يعبر عن كذا وكذا فأنا أصدقه لأني أراه يجيد رسم القصور والأشجار والأمواج، أما حين يخبرني مراهق من الأنصاف أن هذه النقطة الصفراء تعبر عن الأمل داخل اللوحة البيضاء التي تعبر عن ضياع النفس فإني أضحك بشدة لو كنت رائقًا وأقول له ارسم أمامي شجرة أولاً . . وبعد أن تتعلم كيف ترسم الشجرة دعنا نتحدث عن النفس البشرية . .

في هذا اليوم أشرت بحدة إلى أكبر الأنصاف والجالس على منصة المسرح يسبح في بحور الهراء ويظن نفسه متنبي زمانه . . أشرت إليه متحديًا: أريدك أن ترتجل أمامي بيتين فقط من بحر البسيط عن أي موضوع تختاره . .

وكنت واثقًا أنه سيفشل لأنه ببساطة لم يكتب قصيدة واحدة حقيقية في حياته، فمن أين له أن يعرف البسيط أو الكامل؟

لكنه جاوبني بسؤال: بل ارتجل أنت بيتًا واحداً من شعر التفعيلة في مدح سيادة الحاكم.

غلبتني روح التحدي وأنا عاجز عن الرفض الذي يعني أنني أرفض امتداح سيادة الحاكم أمام جمع كبير من الأنصاف . .

لذلك تركتُ لعقلي العنان ورحْتُ أرتجل بالتفعيلة كلمات مهيبة صدمت الجميع، حتى إن بعضَهم قالها بصوت عال: لقد أعدَّها من

قبل .

لكنّي واجهتهم قائلاً : فلتختر أنت أي موضوع وأي بحر شعري وسوف أرتجل لك ما لا يقل عن عشرة أبيات ، وهكذا كسبتُ التحدي تلوَ الآخر حتى أصبحتُ نجم اللقاء .

بعد هذه الحادثة ببضعة أيام وصلتني دعوة لحضور حفل زفاف كبير يخصّ ابن شخصية ثقيلة في البلد . .

ومن يعرفني وسط هؤلاء؟ ! !

لكن الاسم والعنوان واضحان . . إذن لماذا لا أجرب؟ . .

وفى الحفل جلس إليّ رجل وقور عرّفني بنفسه ووظيفته ـ التي لن أذكرها لدواعٍ أمنية ـ ثم أخبرني أن أحد أصدقائه الموثوق فيهم قد رشحني أنا بالذات للعمل معهم . .

فقد علم أنى أمتلك موهبة فطرية في التحدث وقدرة كبيرة على دحر رأي الآخر بوسيلة فريدة ربما لا تتوافر في كل جيل إلا لشخص واحد وهي . . ارتجال الشعر . .

انفصلت بعقلي تمامًا عن الحفل ورحت أستمع لكلام الرجل الذي لم يبخل عليّ بكل الأجوبة . .

وتمّ الاتفاق . .

لم يمر أسبوع إلا وقد انتقلتُ إلى شقة كبيرة وامتلكتُ السيارة . .

موضوعاتي تملأ الصحف . . وقصائدي تحتل الأعمدة الرئيسية في الصفحة الثالثة أو الأخيرة بالصحف التابعة للحكومة . .

ضيف دائم على القنوات المحلية وبعض الفضائيات . . .

باختصار أصبحتُ نجماً من نجوم المجتمع . .

كلّ ما أفعلـه هـو أنـي وجهـتُ مـوهبتي التوجيـه الـصحيح . . . نعم . . أنا أمتدح سياسة الحاكم وأدافع عن مواقف الحكومـة المختلفـة بلساني السليط . . كلامًا عاديًا أو شعراً سيسجله التاريخ . .

ولا عيب في ذلك . . ألم يأكل أعظم الـشعراء الخبـز بـشعرهم . . على موائد الحكام . . على مرّ العصور . . ؟

وأنا شاعر عظيم . . فلِمَ لا؟

إلى أن أمرني أحدهم بمدح سياسته وحبذا لو كانت قصيدة محكمة

فاستجبتُ فوراً . . وانتظرتُ مكافـأة كـبيرة . . لكنّـه لم يـشكرني حتى بالتليفون . .

ثمّ أمرني مرةً أخرى . . فرفضتُ بالطبع فأنا لستُ فاعل خير . .

وهنا ثارت ثائرته . . فـازدادت روح التحـدّي بـداخلي . . ولكـن يبدو أني لم أقدر إمكانات الرجل الحقيقية . .

لأني أكتب هذه الكلمات الآن . . . من داخل السجن .

(انتهى)

التعريـــب

ثلاث ساعات متواصلة من العمـل الجـاد . . . وعـيني تنتقـل مـن القاموس الكبير إلى القاموس المتخصص إلى الورقـة العلميـة المـصورة من كتاب أجنبي . . وبالقلم الرصاص أخط فـوق الكلمـات معانيهـا بالعربية . .

وأحاول تركيب الجمل بحيث أفهم ما يعنيه الكاتـب، وهـل هـذه الجملة علمية أم مجرد جملة أدبية يستهل بها الكلام . .

وهكذا دون أن أنهي الصفحة . . .

بل على العكس تبقت كلمة لم أعرف معناها ولم أعثر عليها لا في القواميس المتخصصة ولا في غيرها . .

ليس هذا تحصيلاً علميًـا . . أنـا أتـرجم . . نعـم أنـا الآن مترجـم ولست دارسًا باحثًا . .

فأنا أحاول فهم معنى الكلام وأعتبر ذلك إنجازًا . .

إذن متى سأفهم العلاقات وأحللـها . . ومتـى سـأبدع أنـا نتـائج وعلاقات جديدة؟ ! !

لقد صـدق العـالم الـدكتور/ سمـير حنـا صـادق حـين قـال : إن الإنسان لا يبدع إلا بلغته الأصـلية ولـن يكـون لنـا الـسبق في البحـث العلمي إلا بتعريب العلوم .

في اليوم التالي عرضـت الكلمـة علـى أسـتاذ دكتـور . . فنظـر إلىَّ

شذراً وسألني :

من أين جئت بها؟

وحين أخبرته عن المرجع الأجنبي . . ضحك ملء فيه وأجابني :

وهل تريدني أن أفهم جميع الكلمات بذلك المرجع؟

(انتهى)

obeikandl.com

نظرية الشهوة

يجب أن أقاوم شهوتي . . يكفى هذا الحد . . لقد امتلأت بطني وأستطيع أن أميز بداية عسر هضم

لكني شاب فتِيّ . . إذا لم أستمتع بأصناف الطعام الشهي الآن فمتى أفعل؟

حين أبلغ أرذل العمر و أصاب بتشكيلة متميزة من أمراض الشيخوخة على رأسها السكر . .

حين يكون ابتلاعي لشربة واحدة من عصيري المفضل ذي الخمس ملاعق سكر يعني غيبوبة سكر . .

حين تتيبس مفاصلي ويصبح ذهابي لمحل الحلواني إنجازًا كبيرًا . .

أم لا قدر الله حين يعتل القلب وتصبح شعرة الملح من المحرمات؟!!

أعرف أنني لو نظمت من الآن فسوف أتجنب كل هذا في المستقبل، لكن أين هي الإرادة؟

كيف يمكنني منع يدي من الامتداد لهذه القطعة الشهية؟

إن العسل يسيل على جوانبها في لمعة رائعة تشترك مع لونها الذهبي فتصنع لها مكانًا في القلب . .

صحيح أني التهمت تسع قطع قبلها لكن هذه بالذات تجتذبني

لقد كانت كل قطع الحلوى السابقة مكعبة الشكل أما هذه فجوانبها مستديرة وطولها يزيد على ارتفاعها فكأنها كرة مبطوطة من المركز حتى غدا سطحها شبه مستوٍ . .

وما أدراك ما سطحها . . إن الحواف المستديرة رشت بالقليل من جوز الهند الفضي ، أما باقي السطح فقد احتشد بالمكسرات . .

ولا أتحدث عن الفول السوداني و إنما عن الفستق ذي اللون الأخضر الداكن المختلط بالبني والأصفر الباهت في لون مميز لأفخر أنواع الفستق .

لا إن هذه القطعة مختلفة تمامًا . . تبًا لهذه الشهوة اللعينة . . المفترض أن تكفي هذه الكمية سبعة أشخاص ، لكني قمت بالواجب ولم يبق سوى هذه القطعة . . لِمَ لا آتي عليها هي الأخرى؟

لقد فتحت زرار البنطال والحزام كي أعطي للمعدة أكبر مساحة ممكنة دون أية ضغوط خارجية ، فلِمَ لا ألوك هذه القطعة؟؟

لن يستغرق الأمر ثواني و بالفعل قضمتها قضمة كبيرة أتت على ثلثيها تاركة علامات واضحة لأسناني على هيئة نصف دائرة (مشرشرة) ثم أكملت الباقي ونمت . .

في الليل قمت أكثر من مرة لدخول المرحاض ، وعرقت بشدة رغم اعتدال الجو و أكثرت من شرب المياه ، كما أن إحساسي بالجوع في اليوم التالي لم يذهب بعد الغذاء و شعور دائم بجفاف الحلق . . تكرر

ذلك لمدة أيام و حين استشرت الطبيب ابتسم مخبراً إياي أنه السكر ، وحين سألته عن التحاليل اللازمة للتأكد من التشخيص أجابني أنه لا يحتاج لها لتشخيص حالتي ، ومع ذلك فنحن نقيس نسبة الجلوكوز في الدم والبول لتحديد كيفية العلاج . . وقد كان . .

في خلال أشهر بسيطة كان وزني قد نزل النصف تقريبًا وفقدت الترهلات العديدة في بطني وعلى جانبي و إن ترك هذا النقص المفاجئ أثراً واضحًا على الجلد الذي لم يعد مشدوداً كما كان من قبل

ولأني أخاف على صحتي و أعتبرها تاجًا لا أراه فقد التزمت بتعليمات الطبيب تمامًا وغيرتُ جميع عاداتي الغذائية ومارست نصف ساعة مشي يوميًا في طريق الذهاب للعمل

حتى إن الطبيب انتقل معي من العلاج بحقن الأنسولين إلى الحبوب نظراً لتحسن حالتي .

لقد انتهيتُ تمامًا من نظرية التمتع بسن الشباب قبل أن يأتي العجز واستبدلتُ بها بنظرية الحفاظ على الشباب حتى لا يأتي العجز . .

(انتهى)

صالحــة

أحقًا ردت عليك بهذا الكلام؟

أجل . .

وبهذا القدر الكبير من الأدب؟

أدب وحياء . . وذكاء

و الأشياء الأخرى؟

كل ما يتمناه الرجل . . إنني أعـيش في الجنـة ـ يـا صـديقي ـ دون مبالغة . .

لكنى مازلت عاجزًا عن التخيل . .

و أنا أعذرك ؛ فلن تعرف فضلها إلا إذا رزقك الله بمثلها . .

لكن . . أخبرني ـ بالله عليك ـ كيف ظفرت بها؟

لا . . هذا أمر بيني وبين الله .

أتكره لي الخير؟

بل أتمناه كله لك . . لكنه أمر آخر . . أتدري حـين تقـول سـبحان الله وبحمده مرة كل يوم . . إنه أمر يسير للغايـة بـشرط أن لا يعلـم بـه أحد . . أن تكون قربة إلى الله في أعلى درجات السر والخفاء . .

هذا إذن . . تريدني أن أقولها مرة كل يوم فقط . . إنه لعمـري أمـر هين . .

إذا أردت فافعل . . لكن ليس هذا هو ما صنعته كي أظفر بها . .

هلا أخبرتني بصنيعك؟

قلت لك هذا العمل بيني وبين الله . . ؛ لا أبوح به . .

يا صاحبي . . ماذا لو كان إخباري سيدر الخير على كلينا . . ستكون دالاً على الخير . . وسننعم بالسعادة في الدارين . . ثم أخبرني . . هل عاهدتَ الله على عدم إخبار أحد؟

لم أفعل بصريح الكلمات . . لكني لم أكن أنوي إخبار أحد ولم تكن تنوى كذلك عدم إخبار أحد . .

تريد أن تعرف كيف ظفرتُ بها؟؟ . .

كنت كلما اصطدم نظري بامرأة أجنبية . . أغض بصري وأدعو : اللهم ارزقني زوجة صالحة . .

(انتهى)

obeikandl.com

كـرة حجـر

انطلق الفتى (يس) إلى دكان أبيه في سرعة ونشاط لعلمه أن أمه مـا زالت تراقبه، فما إن انحرف عند أول زقاق حتى تغيرت مشيته وتحول كل حجر على الأرض ـ في نظره ـ إلى كرة كبيرة تدعوه لركلها..

وهو في ركلاته للأحجار المتناثرة على طول الشارع الضيق يعاملها معاملة الكرة؛ فستجده يركل واحدة بـبطن قدمـه، وأخـرى بطـرف القدم الأمامي، وثالثة بعقبه فترتد إلى الخلف كالقذيفة..

وقد يدير الحجر بنعل الحذاء بسرعة بحيث يرتفع قليلاً عـن الأرض ومن ثم يركله بوجه قدمه تمامًا كأنه كرة يسددها إلى المرمى..

لكنه في هذه المرة اندمج كثيراً؛ فالزقاق شبه خـال مـن النـاس ولا توجد سيارة أو (فاترينة) زجاجية يخاف عليها.. وأهم من كـل هـذا أنه عثر على حجر مميز.. فهو في المعتاد لا ينتقى الأحجار إذ إن قدمـه في ذلك الحذاء الرياضي السميك ـ الذي أهداه له والـده احتفـالاً بيـوم الشهيد ـ تجيد التعامل مع جميع أشكال الأحجار، حتى إن أحد أقرانه تحداه ذات مرة أن يركـل حجـراً مفلطحًـا ذا حـواف حـادة إلى مـسافة عشرين متراً فاستطاع بإحدى حركاته المعقدة أن يبعد الحجر أكثر مـن خمسين متراً..

لكن هذا كان حجراً مختلفًا؛ فهو كروي الـشكل تـسهل دحرجتـه والمناورة به فكأنه كرة صغيرة ثقيلة نسبيًا قدت من الحجر..

وهنا انطلقت أقدام (يس) تلعب بالحجر في براعة كبيرة وأخذ يحاور به ويناور منافسًا في خياله ويعود به إلى الخلف ثم يستدير ويجرى به قليلاً ثم يرسله إلى الحائط ويجرى كي يستقبله بعدها بمسافة وهكذا حتى أخذته الحمية وأراد تنفيذ حركة يصعب عملها بالكرة الحقيقية . .

ودون تردد أوقف الكرة الحجرية بسرعة، ثم وضع كعب قدمه اليمنى أمامها ووجه قدمه اليسرى خلفها بحيث تنحصر بينهما، وبنفس السرعة قفز في الهواء ثم ارتفعت قدمه اليمنى منثنية للخلف بأسرع وأقوى من اليسرى فلم يملك الحجر الذي أفلته (يس) في لحظة مدروسة سوى أن يرتفع في الهواء من خلفه إلى ثلاثة أمتار على الأقل قبل أن يهبط ويختفي أمامه . .

وهنا تنبه لكونه يواجه شرفة أرضية ذات سور منخفض وأن الحجر استقر داخلها محدثا جلبة كبيرة . . خرجت على إثرها امرأة عجوز شبه غاضبة تريد تأنيب الشياطين الصغار، لكنها لم تلبث أن تخلصت من الحجر في الشارع واختفت داخل المنزل حين لم تعثر على شياطين صغار أو كبار . .

وبمجرد دخولها ظهر الفتى الذي كان قد انثنى لاصقًا جسده أسفل السور المنخفض فلو نظرت السيدة تحت السور مباشرة لرأته . . لكن الله سلّم . .

وهنا انطلق (يس) مرة أخرى في نشاط كأن أمه ترقبه وقد احتفظ بالحجر في جيبه مؤقتًا وكأنه يخفى دليل الاتهام . .

وفي دقائق كان قد وصل لدكان أبيه فوجده مع باقى الدكاكين مغلقًا . . ولم تطل دهشته حين سمع الهتاف وتذكر أن هذا ميعاد المسيرة . .

توجه في خطوات سريعة تحولت إلى جري كي يلحق بالجموع التي احتشدت وسدت الطريق تمامًا وقد ارتفعت الصيحات والهتافات والكثير من اللافتات . .

كما قابلها على الناحية الأخرى عربات مدرعة تعلوها طائرة مروحية وأعدادًا كبيرة من الجنود المدرعين الذين لم يتورعوا عن قذف القنابل المسيلة للدموع والتي وقعت إحداها بجوار(يس) الذي كان يعلم جيدًا أنها ساخنة جدًا وبالتالي التقطها بسرعة باستخدام لافتة بلاستيكية كي يبتعد بسرعة عن الزحام وقد بدأت بالفعل في نشر الغازات البيضاء وفي لحظات قذف بها في الهواء كي تستقبلها قدمه بركلة قوية أطاحت بها ناحية الجنود . .

وقد أعجبته الحركة فاختار مكانًا آخر يعطيه حرية أكثر في الحركة ثم أخرج الكرة الحجر من جيبه ووضعها على الأرض وفي حركة بارعة وقوية كان قد ركلها محاولاً أن تصيب أفضل هدف . .

أصيبت خوذة أحد الجنود وتهشم زجاجها تمامًا . .

هذا ما رآه (يس) من زاويته البعيدة . .

لكن شهود عيان أكدوا أن الحجر أصاب جندي يقود مدرعة فاختل توازن عجلة القيادة وانكفأت بكل من فيها . .

آخرون يؤكدون أن الحجر أصاب المروحة الخلفية لطائرة مروحية كي يهشمها تمامًا ويختل توازنها وتهوى بسرعة إلى الأرض محدثة انفجارا كبيراً . .

لكن أحداً من شهود العيان لم ير (يس)، وقد عثر على الحجر في اليوم التالي وعاد يمارس به هواياته . .

(انتهى)

obeikandl.com

داخل صندوق القمامة

أمُرّ بسيارتي يوميًا على صندوق القمامة الضخم في طريقي إلى العمل . . ولم يكن ليلفت انتباهي من قبل . . .

لولا أنّ الرائحة الكريهة كانت غير محتملة هذا اليوم ، وكأن كلبا ميتا قد أنتنت أعضاؤه داخل الصندوق فعزمت على عدم الرجوع من نفس الطريق . .

ولكني عدتُ من نفس الطريق . . إذ لم أذكر موضوع الرائحة إلا حين اقتربت منها . .

كدتُ أن أطلق لسيارتي العنان بضغطة قوية على دواسة البنزين، لكنه لَفت انتباهي بشدة . .

رجل قصير ، نحيف ، لا أتبين لون جلده بسبب الأشياء العديدة التي يضعها على جسمه . . يقف هناك . . .

نعم . . يقف داخل صندوق القمامة . . يقلب محتوياته . .

وقد اعتدتُ أن أرى أشياء كهذه حيث يحمل الواحد منهم في يده الأخرى كيسًا وسخًا يضع به علب البلاستيك أو الزجاج أو أشياء يراها هو ذات قيمة ونفع . .

لكن الأمر مختلف هذه المرة . .

لقد كان الرجل يأكل . .

نعم كان يأكل شيئاً ما بنهم شديد وكأنه يلوك قطعة لذيذة من

اللحم المشوي . .

أنـا لا أشـجع الـشحاذين ، ونـادراً لـو أعطيـتهم شـيئًا ، لكـن إذا أخبرني أحدهم أنه لم يأكل (يا باشا) منذ كذا وأنه لا يريد سوى شيئًا يأكله . . فأنا ـ أمام هذه الحجة ـ ضعيف للغاية . . حينها أعطيه على الفور إن لم أشترِ له بنفسي طعاماً . . . .

ناديتُ عليه وأنا أدسُّ يدي في جيبي مخرجًا ورقة من فئة الخمسين جنيهًا . . ثم استبدلتها بأخرى من فئة العشرة فربما لم يتعامل بهذه الورقة من قبل . . لكنّهُ لم يردّ . .

طبيعي . . لا شك أن عنده نصف أمراض العصر . . رفعتُ صوتي فالتفت إليّ برأسه في بطء شديد . . ثم عاد إلى صورته القديمة . .

بدأت أشك في قواه العقلية ، لكنى أردّت أن أساعده وسأفعل . . حتى لو اضطررت للتضحية والمشي في هذا الجحيم . .

ومن ثَمّ نزلت من السيارة وأنا أحاول أن أستنشق أقل قدر ممكن من هذا الهواء . . مددتُ له يدي بالنقود . .

تبّاً ما هذا الذي يأكله؟!

إن (روكي) نفسه ما كان لينظر لهذه القذارة إلا باشمئزاز ولا يقترب منها . .

نظر إلى يدي الممدودة أمام وجهه ولم تبْدُ عليه بادرة أنه يفهم أساسًا ما أريدَ . .

تشجّعْتُ أكثر ووضعتُ الورقة المالية في جزء يشبه الجيب في ملابسه . . لكنه لدهشتي . . أخرجها بسرعة كمن لسعه تيار كهربائي . . ورماها في وجهي قائلاً . . وكنت أحسبه لا يتكلم :

أنا لستُ شحاذًا يا أستاذ .

(ملحوظة) روكي هو الفأر الأبيض الذي أربيه في المنزل .

(انتهى)

obeikandl.com

طالب شهادة

مكتوب على وريقة صغيرة ملونة ومرسوم عليها ظل أسود لحصان يعتليه فارس مسلم عبارة ذات بريق تقول : " من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه " صدق رسول الله ، وهى ملتصقة بظهر السرير في مكان واضح جداً يعتلى رأس النائم تماماً . . . . . .

أما هو فقد قاوم نفسه بشدة كي يعتدل جالساً ثم يجمُد بضعة ثوان تراوده نفسه أن يرجع بجذعه فيتوسد مرة أخرى لكنه يصفعها متذكراً قول أحد الصالحين حين كان يمسك بفراشه ليلاً ويهزه : والله إنك للين ، والله إنك لمحبب إليّ، والله إن فرش الجنة لألين وهى إليَّ أحبّ .

ثم يقوم مصلياً إلى ما شاء له الله ، ثم يسجد باكياً ، ثم ينهي صلاته داعياً : اللهم بلغني منازل الشهداء

ويبكي ويدعو : اللهم بلغني منازل الشهداء

وتفرح نفسه حين ترى الدموع وقد فاضت فيصفعها ثانية : رب معصية أورثت ذلاً خير من عبادة أورثت كِبراً ، ويعود لبكائه أشد .

لكنه سقط ـ لأول مرة منذ تعود قيام اللَيل ـ فوق سريره في سنَة من النوم رأى فيها كما يرى النائم أن الجيوش قد اصطفّت وأن القائد قد علا صوته : الله أكبر . .

والكل قد تبع النداء ووجد نفسه يصيح مع الجيش ويلكز الفرس من تحته فيرمح خلف القائد ، ثم يضرب بسيفه لكن عدوه أقوى من السيف وأشد إذ يجد درعه وقد اقتلع والعدو وقد رفع سلاحه، مستغلاً انكشاف صاحبه فيهوي على رأسه بضربة قوية تتفجر معها الدماء من أنفه، لكنه لا يخاف ولا يأبه لجراحه بل يسمع صيحة القائد تهز كيانه: الله أكبر . .

فيجاوبها بمثلها ، ويخرج من جرابه مسدسًا يطلق رصاصه على العدو فيرديه قتيلاً، وتتحول السيوف في أيدي الجيش إلى بنادق والأعداء إلى خنازير جبانة تفر من هول ما ترى، وتتواصل المطاردة، ويتواصل الجهاد . .

في صباح اليوم دخلوا عليه غرفته فوجدوه ساكنًا، والدماء تتفجر من أنفه.

(انتهى)

مجرد لعبة

قصة من التخيل العلمي

(صائد الأفكار) . . أخيراً أراه أمامي . .

نعم أليس رائعًا يا صديقي؟

بالطبع والآن أخبرني بسرعة . . كيف يعمل؟

فكرة عمل الجهاز: أن المخ ينشط حين يريد توليد فكرة جديدة، ويختلف الجزء الذي ينشط بالمخ باختلاف نوع الفكرة؛ وبالتالي فقد أمكن رصد هذا النشاط وتعظيم طاقته وتحويلها إلى واقع افتراضي . . كل فكرة لها ذبذبة خاصة نستطيع أن نراها بسهولة . .

لا أسألك عن فكرة العمل . . وإنما عن كيفية عمل الجهاز . . فأنا مشتاق للتجربة . .

قبل أن تجرب يجب أن تفهم ما أنت مقبل عليه . .

أقسم لك أنى أفهم . . . . المخ يصدر طاقة يمكن قياسها وهذا شيء معلوم منذ القدم باستخدام أجهزة رسم المخ . . . . لكن هذا الجهاز بدلاً من أن يرسم نشاط المخ على هيئة خطوط متعرجة لا تفرق بين نشاط الإبداع والتفكير ونشاط الغريزة أو الخوف مثلاً . . فإن جهازك يستطيع أن يصنف بدقة نوع النشاط وينقل له صورة افتراضية على هذه الشاشة . .

جميل . . . فلو فكرت أنك تمشى الآن وسط مجموعة من الحقول

الخضراء فسترى ذلك على الشاشة . .

رائع . . ولكن لماذا سميت الجهاز (صائد الأفكار)؟ . . وكان الأولى أن تسميه راصد أو قارئ الأفكار؟

لأني عدلته مرات كثيرة . .

عدلته؟؟

نعم . . ولكي تفهم ما أعني جرب الجهاز . . هيا ارتد الخوذة واضغط على الزر الأسود وفكر في أي شيء . . . هيا . . هاااه . . ها أنت تفكر في إطلاق النيران من مدفع خيالي لم أر مثله من قبل . . يا لك من شخص عدواني . .

كنت أحسب الجهاز أكثر متعة من ذلك . .

إنه كذلك يا صديقي . . انظر إلى معدلات الطاقة . . ذلك الخط الأحمر أسفل الشاشة . . إنها بصمة أفكارك .

بصمة أفكاري؟ ماذا تعنى؟ !

لكل إنسان حين يفكر معدل طاقة معين ينطلق في ترتيب منتظم بصورة متفردة بحيث لا يوجد له شبيه في الكون كله .

تعني مثل بصمة الأصابع . .

أجل وبصمة الصوت والأذن وقاع العين . . وحتى البصمة الوراثية .

و ما فائدة رصد هذه البصمة؟

بما أن الطاقة لا تفنى ؛ فإن أفكارك السابقة عبارة عن طاقة

متواجدة في الفراغ وبمعرفة بصمة هذه الأفكار يمكن رصد طاقتها، وباستخدام جهاز صيد الأفكار والمترجم للواقع الافتراضي أستطيع أن أرى أفكارك كلها منذ أن ولدت وحتى لحظة وقوفنا معًا . .

و لكن كيف تصطاد شيئًا يطير في الفراغ؟!

لو أن غيرك قالها يا دكتور؟!! . . ألا ترى موجات الراديو والتليفزيون تلتقط من أي مكان في العالم فقط إذا وجد الجهاز القوي الذي يستقبلها . .

أتعني أن مخي سوف يكون بمثابة مبنى الإذاعة والتليفزيون وهذا الجهاز هو التلفاز الذي سيرصد ما يبثه مخي منذ أن تعلمت التفكير وقنوات التلفاز المختلفة هي أفكاري المختلفة . .

رائع يا دكتور . . . تشبيهك رائع خصوصًا أن تردد طاقة الأفكار يختلف حسب نوعية الفكرة وإن اتفق في بصمته الأساسية، فالأفكار العدوانية مثلاً تختلف عن الإبداعية تختلف عن التكتيكية وهكذا . .

هذا يعني أنك تمتلك سلاحًا سريًا رهيبًا إذ يكفى أن تعرف بصمة الرئيس الفلاني حتى تقرأ جميع أفكاره . . . أليس كذلك؟

بل وأكثر . .

أكثر؟ . . كيف؟!

لو نجحت في تحديد بصمات الأفكار لأشخاص ماتوا فبإمكاني أيضًا معرفة أفكارهم السابقة . .

و لكن كيف؟

بالتجريب العشوائي . . كـأن أضـع أنـا بـصمات افتراضـية إلى أن تصادف بصمة أحد القدماء . . نوع من التزوير . .

التزوير؟

أجل تمامًا مثل تزوير بصمة الأصبع . .

لكن لو نجح هذا الأمر فسوف تعيد كتابـة التـاريخ . . تـستطيع أن تحصل علـى بـصمة أفكـار رواد العلـم في العـصور المختلفـة والقـادة العظام . . لو نجح هذا الأمر فأنت صاحب كنز لا يقدر بثمن . .

لقد نجح . .

ماذا؟ . . أتعنى أنـك تـستطيع الآن رؤيـة أفكـار أشـخاص مـاتوا بالفعل؟

نعـم وهـذه الأفكـار تحـوي صـورًا كاملـة لحيـاتهم وتـاريخهم . . صحيح أنى لم أصادف حتى الآن بصمة لأحد العظماء ممـن أثـروا في التاريخ لكن من يدري . . . ؟

اعذرني . . أحتاج لبعض الوقت لتصديق هذا الكلام . .

أنا لا أطلب منك التصديق من عدمه ؛ فالجهاز أمامك وهذه بعض التسجيلات من أفكار أشخاص غير موجودين بالفعل . .

و ماذا ستصنع بالجهاز؟

لعبة

ماذا؟ لعبة ! !

نعم . . إذا أردت التسويق الأمثل للجهـاز فـلا شـيء أفـضل مـن

عرضه في الأسواق على هيئة لعبة . .

مجرد لعبة . . . !

أجل . . وسيستخدمه الناس على هذا الأساس للتسلية فقط . .

لكن بإمكانهم الحصول على معلومات رهيبة . .

لن يستفيد إلا أقل القليل . . الكل يبحث عـن الإثـارة والمتعـة . . عن اللعب . . ألم تقل أنت حين جربته : كنت أحسبه أكثـر متعـة . . وسوف أقدم لكم أحدث الألعاب الممتعة . . . صائد الأفكار . .

مجرد لعبة؟

أجل . . مجرد لعبة . .

(انتهى)

obeikandl.com

نقطة الارتكاز

(الفائزة بمسابقة ديوان العرب)

بَدَأَتْ قَطَرَاتٌ بَسيطَةٌ ازْدَادَتْ تَدْريجيًّا، وَازْدَادَ مَعَهَا ارْتفَاعُ عَمُود الْمياه وَفي أَقَلِّ منْ دَقيقَة وَصَلَ إلَى فَم الطِّفْل الصَّغير الَّذي يكَادُ يَقَعُ لفَرْطَ لَهْفَته للحصول عَلَى الميَاه، بَيْنَمَا تَنْتَبه لَهَ أمُّه الَتي تَحمله في بَسَاطَة عَلَى رَاحَتها اليمْنَى وَتَرْفَعُه بقَدْر اسْتطَاعَتهَا وَمَلامحُ الذعْر وَالألَمِ مَحْفورةٌ عَلَى وَجْهها، وَبضْعَةُ ذئَاب أَوْ حَيَوَانَات ذَات أَنْيَاب تَنْهَشُ في أَقْدَام الأم فَتَنْزفُ بَدَلَ الدِّمَاء مَاء.

لَكنّ اهْتمَامَهَا كلَه ـ برَغْم ذَلكَ ـ موَجَهٌ إلَى ابْنهَا الَذي تحَاولُ أَنْ تَحْفَظَ تَوَازُنَهُ بيَدهَا اليسْرَى، وَأَحَدُ الذِّئَاب الصَغيرَة جَسَدُه شبْهُ طَائر في الهَواء، وَهُوَ مُعَلَقٌ بأَنْيَابه الحَادَّة الَتي انْغَرَسَتْ عَنْ آخرها في ذَراع، ومرْفَق الأمّ الأيْسَر وَكَأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَمْنَعَ اليَدَ منَ الوُصُول إلَى الاَبْن . . في مَشْهَد رائع أَعْجزُ عَنْ مَنْع عَيْني منْ تَأَمُّله كُلّمَا مَرَرْت بهَذَا المَيْدَان، لَكنَ الجَديدَ اليَوْمَ أَنِّي أَرَى النَافُورَةَ وَهَي تَبدأُ عَملَهَا، وَأَرَى بوُضُوح العَمُودَ المُجوَّفَ منَ البلاسْتيك الشَّفَاف يَصلُ الصَّخْرَةَ الصَّغيرَةَ بفَم الطِّفل الصَّغير، بحَيْثُ تَنْدفعُ فيه الميَاهُ منْ أَسفَلَ ثُمَ تَعُودُ لتَسيلَ حَوْلَ جُدْرَانه حَينَ تَصلُ للصَّخْرَة، فَيَبْدُو المَنظَرُ وكَأَنَّ الصَّخْرَةَ مُعَلَّقَةٌ في الهَوَاء، وَمَعَ ذَلكَ يَسيلُ منْهَا المَاءُ دُونَ نَفَاد.

في الصَّيْف أُحبُّ أَنْ أَعْبُرَ بجوَارهَا حَتَّى يُصيبَني الرَّذَاذُ الخَفيفُ المُنْعشُ حينَ تَحْمَلُهُ نَسْمَةٌ شَارَدَةٌ . . . وَفي الغَالبَ أُحبُّ مُرَاقَبَتَهَا عَنْ

كتَب؛ فَهي عَمَلٌ فَنِّي رائعٌ لاَ شكَ وَأَرْوَعُ مَا فيه تَمَيُّزُهَا . . فكمّيةُ المياه لاَ تَطْغَى عَلَى جَمال النَحْت وَهَيْبَته، وإنَمَا هي جَداولُ رَقْرَاقَةٌ تُضيفُ إليْه تَجْسيداً وَحَرَكَةَ . . وَهي في بَراعَة مَخارجهَا تَظْهَرُ وكَأَنَهَا عَمَلٌ آخرُ مَنْحُوتٌ مِنَ البلَّوْرِ الشَّفَاف يَشْتَرِكُ مَعَ النَحْت الأصْلي دُونَ انْفصَال..

بخلاف النَافُورات الغَبيَّة التي تَتَنَافَسُ عَلَى بَعْثَرَة أَكْبَر كمِّيَة مِنَ المياه، وكَأَنَهَا مَيْكَنَةٌ للرَي وَلَيْسَت مَصْدَراً جَمَالياً . . كَمَا أَنَّ هَذه الأُمَّ الصَابرَةَ تَحتَلُّ في نَفسي مكَانًا خَفيًّا..

هَذه المَرَّةُ وَأَنَا أَمْشي ببطْء كَعَادَتي حينَ أَمُرُّ بجانبهَا، لَفَتَ نَظري طفْلٌ صَغيرٌ يَمْرَحُ في نَشَاط بكُرَته الصَّغيرة في المسَاحَة الخَضْرَاء غَيْر الكَبيرة وَالمُحيطَة بالنَافُورَة، بَيْنَمَا تَجْلس أُمُّهُ عَلَى المقْعَد الخَشَبي في ثيَاب تَعْكسُ احْتراماً شَديداً مُشيرَةً إلَيْه بيَدهَا أَنْ يَبْتَعدَ عَنِ المَيْدَان وَعَيْنَاهَا لاَ تَغيبانَ عَنْهُ.

تَابَعْتُهُ قَليلاً بنَظَري وَشَبَحُ ابْتسَامَة يَرْتَسمُ عَلَى مَلامحي، فَقَدْ كَانَتْ حَرَكَاتُهُ الطُّفُولَيَّةُ وَطَريقَةُ الْتقَاطه للكُرَة وَقَذْفهَا بيَدَيْه الاثْنَتَيْن لأعْلَى، ثُمَّ جَرْيه بأَقْصَى مَا تَسْمَحُ لَهُ قَدَمَاهُ مِنْ سرْعَةَ كَي يلْتَقطَهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْض تُجْبرُ جَميعَ الجَالسينَ وَالوَاقفينَ حَوْلَ النَافورَة عَلَى مُتَابَعَته وَالإشَارَة إلَيْه أَوْ مُدَاعَبَته حينَ يَقْتَربُ مِنْ أَحَدهم، ثُمَّ يَبتَعدُ وَكَأَنَهُ يكرُّ ويَفرُّ في مَعركَة صَغيرَة ، وهذا يُذَكِّرُني بأَطْفَال الانْتفَاضَة وَهُمْ يُجَاهدُونَ بالحجَارَة، لَكنَّ الفَارقَ أَنَّ هَؤُلاَء يكرُّونَ بالحَجَر مَرَّةً وَاحدَةً ثُمَّ يَفرُّونَ عَكْسَ اتِّجَاهه مُتَحَيِّزينَ لكَرَّةٍ

أُخْرَى، فَالحَجَرُ عِنْدَهُم وَسِيلَةٌ للدَّفْع. أَمَّا هَذا فَالكُرَةُ عِنْدَهُ غَايَةٌ في حَدِّ ذَاتِهَا، أَوْ قَدْ يَتَشَابَهَان إِذَا اعْتَبَرنَا الكرةَ وَسِيلَةً هِي الأخرَى لِغَايَةِ الطِّفْلِ وَهِي اللَّهْوُ وَالتَّسْلِيَةَ..

انْتَزَعَتْنِي منَ الانْتِفَاضَةِ ضَرْبَةٌ قَوِيَّةٌ ابْتَعَدَتْ بِالكُرَةِ عَنِ المَنْطَقَةِ المَزْرُوعَةِ، فَتَابَعَتْهَا الأَنْظَارُ كَي يَتَضَاحَكَ الجَمِيعُ حِينَ ارْتَطَمَتْ برَأْسِ رَجُلِ الأَمْنِ أَو المرور الوَاقِف عِنْدَ الإِشَارَةِ، فَالْتَقَطَ الطِّفْلُ الكُرَةَ، وَعَادَ مُسْرِعًا لِيُوَاصِلَ لَهْوَه قَبْلَ أَن يَتَمَكَّنَ الرَجُلُ مِنْ تَأْنِيبِه.. لَكِنَّ الكُرَةَ وَاصَلَتْ مُفَاجَآتِهَا وَكَأَنَّهَا تَسْتَمْتِعُ هِي الأُخْرَى بِاللَّعِبِ مَعَ صَاحِبِهَا، فَاخْتَارَتْ حَلَبَةً جَدِيدَةً للْمبَارَاة حِينَ طَارَتْ مُسْتَقَرَةً عِنْدَ أَنْيَابِ الذئْبِ الكَبِير، وَهنَا تَعَلَقَتْ الأَنْظَارُ كُلُّهَا بالطِّفْلِ الَذي تَوَقَعْتُ لَهُ أَن يَنْهَمِرَ فِي الْبُكَاء لَفَقْدِه الكُرَةَ لَكِنِّي وَجَدْتُهُ لَدَهْشَتِي يَنْطَلِقُ كَمَنْ يَعْرِفُ هَدَفَهُ جَيِّداً، وَيُحَاوِلُ تَسَلُّقَ حَاجِزِ النَافُورَةِ الَذي يَرتَفِعُ مِتْراً عَنِ الأَرْضِ، وَهُنَا وَجَدْتُ ذَاتَ الثِّيَابِ الوَقُورِ خَلْفَهُ تَمْنَعُهُ فِي هُدُوء وَتُكَلِّمُهُ فِي تَعَقُّل، وَكَأَنَّهُ زَوْجُهَا لَا ابْنُهَا الصَغِير، ثُمَّ وَجَدْتُ الطِّفْلَ يَعْدِل عَنْ فِكْرَةِ النُّزُولِ إِلَى النَافُورَةِ، وَيَجْلِسُ بِجوَارِ أُمِّه الَتِي أَخْرَجَتْ لَه شَطِيرَةً بَدَأَ فِي تَنَاوُلِهَا دُونَ شَهِيَةٍ وَاضِحَةٍ..

لَوْ أَنَّ أُمِّي مَكَانَ هَذِه السيِّدة .. لَصَفَعَتْنِي بِقُوَةٍ لَو حَاوَلْتُ النُّزُولَ كَمَا فَعَلَ هَذَا الطِّفْل..

لَكِنَّ شَيْئَاً مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِيَحْدُثْ .. فَمَا كَانَتْ أُمِّي لِتَتْرُكَنِي أُضَيِّعُ وَقْتِي فِي اللَهْوِ بِالكُرَةِ وَمَا كَانَتْ لِتَصْطَحِبَنِي مَعَهَا فِي مَكَانٍ كَهَذَا أَوْ كَغَيْرِه مِنَ الأَسَاسِ..

وهنا وجدتُّني أضعُ حقيبتي الجلديةَ على الأرض، وأتجهُ في خطُوات ثابتة إلى حاجز النافورة، ثُمَّ أجلسُ عليه وظهري لها ثُمَّ أرفعُ كلتا قدمَي عن الأرض وأُشمِّرُ البنطالَ بحيثُ تظهرُ نهايةَ الجوربَ، ثُمَّ أستديرُ لأواجهَ المياهَ وفي جرأة أُحسدُ عليها غمستُ قدمي في المياه التي لمْ يزدْ عُمقُها عنْ شبرَيْن أسفلَ الحاجز مُباشرةً، ثُمَّ تقلُّ تدريجيّاً حتى تنعدمَ عندَ ذيْل أوَّل ذئب.

ولَمْ تكُنْ برُودةُ المياه التي ملأتْ حذائي، ووصلتْ لنهايةَ جوربي هي سببُ دهشتي، وإنَّما ذلكَ الصوتُ الغريبُ الذي أحدثَهُ وقْعُ قدمي على أرْضيَّة النافُورة، نعم إنها مُكوَنَةٌ منْ سبيكة معدنية تمَّ طلاؤُها بطلاء بارع جعلَها تُشبهُ تماماً الصُّخورَ الطَّبيعيَّةَ.

في الواقع كانتْ مُفاجأةً بالنسبة لي، فطُوالَ هذه السِّنين كُنْتُ أعتقدُ أنَّ الأمَّ والطِّفْلَ والذِّئابَ والصُّخورَ هي عملٌ فنِّيٌّ منْحوتٌ في أحْجار طبيعية كتلْكَ التي نراها في المتاحف..

لكنِّي فُوجئْتُ أنَّها معدنٌ يُحدثُ صوتاً صاخباً حينَ أطْرُقُها بيدَي، انتزعْتُ نفْسي سريعاً منْ هذه المُفاجأة، وانْحنَيْتُ إلى الكُرة ألْتقطُها في هُدُوء، ثُمَّ طرَقْتُ أنيابَ الذِّئب وأنا أعتدلُ فوجدْتُها معدنيَّةٌ أيْضاً، ولَمْ أستطعْ منْعَ الفُضُول فطرقْتُ ذئْبًا آخرَ وثالثًا كي أجدَها معْدناً جميعاً..

وأغْرقَ بعْضُ الجالسينَ ممنْ لاحظوني في الضَّحك فقدْ كُنْتُ أشْبه بنجَّار يخْتبرُ الخشَبَ ليُحدِّدَ نوْعهُ، للأسَف لَمْ تُسعفْني قامتي في الوُصُولِ للطِّفْلِ أوْ لأذْرُعِ الأمِّ فقدْ كانَ خصْرُها هُوَ أقْصى ما

تَصل إليْه يَدي المَفْرُودَةُ لأعْلَى، وَطَبْعاً لَمْ يفُتْني أنْ أطْرُقَ أقْدامَ الأمِّ الَتي تَنْزفُ مَاءً، فَهِي تُمَثِّل نُقْطَة الارْتكَاز بالنِّسْبَة لبَاقي أجْزَاء التَّمْثَال..

إنَّ الأحْجَامَ تَخْتَلفُ هَذه المَرَّة، فَالأنْيَابُ تَبْدُو أكْبَرَ منَ المعْتَاد، وَجرَاحُ الأمِّ وَاضحَةٌ، وَمَعَالَمُ الألَم وَالذُّعْر تَنْطقُ منْ عَيْنهَا بصدْقَ، أيْضاً مَلامَحُ الطِّفْل هي أكْثَرُ وُضُوحاً وَهُدُوءاً.. أرْوَعُ شَيء أنِّي أقفُ وَسَطَ الذِّئَاب.. بَلْ يَعْلوني الذِّئْبُ الصَغيرُ الَذي يَتَعَلَّقُ بذرَاع الأمِّ..

ثَمَّةَ مَوَاضعُ يُمْكنُني أنْ أجلسَ فيهَا دُونَ أنْ تَصلَني المياهُ، وَأكْثَرُهَا أمَاناً ذَلكَ الَّذي يَنْحَصرُ بَيْن الذِّئْب الكبير وَأقْدَام الأُمِّ حَيْثُ نهَايَةُ ردَائهَا المُقَعَّرَ وَالمَنْحُوت أو المَصْقَول ببَرَاعَة، وَكَأنَّ الهَوَاءَ يَضْربُهُ بشدَّة، وَقَد اسْتَدْعَى في ذَاكرَتي رداءَ أُمِّي القَديم الَذي طَالَمَا ارتدَتْهُ وَهي تكْدَحُ... وَحينَ تَابَعْتُ بنَظَري الرِّدَاءَ حَتَى نهَايَته لأعْلَى سَمعْتُ منْ وَسَط الخَرير صَوْتَ أُمِّي الشَاحبُ، وَهي تَطْلُبُ منِّي عَلَى فَرَاش المَرَض أنْ أُسَامحَهَا عَلَى قَسْوَتهَا؛ فَلَمْ يَتْركُ اليُتْمُ وَالفَقْرُ مَجَالاً لَهَا كَي تَلْهُوَ مَعَ أصْغَر أبْنَائهَا..

وَمَرَّةً أُخْرَي يَنْتَزعُني رَجُلُ الأمْن أو المُرُور منْ أفْكَاري حينَ أشَارَ إلَي منْ خَارج النَافُورَة وكَأنَّهُ يَسْتَكْثرُ عَلَى هَذه اللَّذَّة، وَيَأمُرُني بالخُرُوج..

تَجَاهَلْتُهُ وَأسْقَطْتُ الكُرَةَ عَمْداً منْ يَدي كَي تَتَدَحْرَجَ نَاحيَةَ الذِّئْب الكَبير الَذي يَبْعُدُ متراً عَلَى الأقَلِّ عَنْ أقْدَام الأُمِّ مُتَحَفِّزاً للْقَفْز..

وَاسْتَدَرْتُ كَي أَسْتَعيدَ الكُرَةَ مُتَعَمِّداً إعْطَاءَهُ ظَهْري فَالْتَفَّ بِسُرْعَة حَوْلَ النّافُورَة لِيُواجِهَني وَيُعيدَ عَلَي الأَمْرَ، وَإنْ خَالَطَتْ لَهْجَتُهُ الآمِرَةً نَبْرَةُ تَوَسُّلٍ..

اتَجَهْتُ للحَاجِز مُسْتَجيباً، وَحينَ هَمَمْتُ بالقَفْز منْ فَوْقه وَجَدْتُ ذراعاً مَفْتُولَةً تَمْتَدُّ إلَي، فَنَظَرْتُ بَدَهْشَة لصَاحبهَا كَي أَجدَ أَحَدَ ضُبَاط الجَيْش يَبْتَسمُ لي في وُدٍّ مَلْحُوظ جَعَلَني لاَ أَتَرَدَّدُ، فَالْتَحَمْتُ كَفَّانَا، وَوَجَدْتُهُ يَرْفَعُني في سُهُولَة وَقُوَّةٍ. . . وَفي ثَوانٍ كُنْتُ خَارِجَ النَّافُورَة دُونَ تَفْكير..

ابْتَسَمَ لي، وَأَخَذَ الكُرَةَ منْ يَدي، ثُمَ شَكَرَني وَأَكَّدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَاعٍ أَنْ أُتْعبَ نَفْسي لهَذه الدَّرَجَة ثُمَّ نَادَى ابْنه وَهُوَ يُشيرُ إلَيَّ، وَيَدْعُوهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى "عَمو" وَيَشْكُرَهُ..

سَلَمْتُ عَلَى الطِّفْل، وَتَلَقَيْتُ كَلمَةَ الشُّكْر في بَلاَهَة أَوَّلَ الأَمْر، لكنِّي أَفَقْتُ سَريعاً وَانْحَنَيْتُ للطفْل مُقَبِّلاً خَدَّهُ، ثُمَّ وَاجَهْتُ ذَا الذِّرَاع المَفْتُول وَابْتَسَمْتُ في وُدٍّ بدَوْري أَنْ لاَ دَاعي للشُّكْر، ثُمَّ خَطَوْتُ مُبْتَعداً بضْعَ خُطُوَات كَي أَرَى عَلَى الأَرْض آثَاراً بَاهتَةَ لحذائي الغَريق. . في الْوَاقع كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَشْكُرَ أَنَا الطِّفْلَ وَبشدَّة؛ لأَنَ كُرَتَهُ هَذه كَانَتْ سَبيلي إلَى تَحْقيق أُمْنيَة كَبيرَة منْ تلْكَ الأَمَاني الَّتي تُرَاودُنَا مُنْذُ الطُّفُولَة وَهي النُّزُولُ إلَى النَافُورَة وَلَمْسُ تَمَاثيلهَا وَاللَعبُ تَحْتَ مياهها..

لَمْ أَنْسَ طَبْعاً أَنْ أَصْطَنعَ مَسْحَ ذراعَيّ منَ الميَاه حينَ اقْتَرَبْتُ منْ رَجُلِ الأَمْنِ أَوِ المُرُور كَي تُصيبَه بضْعَةُ قَطَرَات لاَ بَأْسَ بهَا..

رَفَعْت نَظري نَاحيةَ الأُسْـرَة الَتـي رَاحَـتْ تَبْتَعـدُ، فَوَجـدْتُ الأبَ المَفْتُولَ يَحْملُ الطِّفْلَ بذراعٍ وَيَحْمل باليَـد الأُخْـرَى حَقيبَـةً كَـبيرَةً لَـمْ أَرَهَا منْ قَبْلُ مَعَ الأمِّ الَتـي سَـارَتْ بجـوَارِه، وَرَاحَـتْ تَتَحَايَـل عَلَـى الطِّفْلِ كَي يُكْملَ شَطيرَتَهُ، بَيْنَمَا يُدير هُوَ وَجْهَهُ وَيَتَمَنَعُ، فَعَادَ صَوْتُ أُمِّي يَقْرَعُ في ذَاكرتي وَجلْـدُهَا الأبْـيَضُ يَحْتَـلُّ المَشْهَدَ أَمَـامَ عَيْنَـي، وَتَفْسيرُهَا لَمَا صَنَعَتْ وكَأَني كنْـتُ محتَاجـاً لتَفْـسير.. أَنَ الفَقْـرَ كَـانَ يَعضّ فينَا بنَابه، وَأَنَهَا وَقَفَتْ كَالجَبَل ولَم تَستَجبْ لإغْرَاءَات عَديـدَة تَكْفل لَهَا لاَ العَيشَة الكَريمَة فَحَسْب، وَإنَمَا العَيْشَةَ الرَغْدَةَ المَنعَّمَةَ..

عَلَى أَنْ يَدْفَع أَبْنَاؤُهَا السَبْعَةُ الثَمَنَ..

وكَيْفَ أَنَهَا لَمْ تُقَصِّرْ في حَقِّهم ولَمْ تُضَحِّ بهم منْ أَجْل مُتَع الْحَيَـاة وَإنَمَا ضَحَتْ بمُتَع الحَيَاة منْ أَجْلَهم..

وكَيْفَ أَنَهَا لَمْ تَـرْضَ أَنْ تـربَيهم بـأَمْوَال الـصَدَقَة مَـعَ أَنَـه حَقُّهَـا وَحَقُّهم، لَكنَهَا رَوُحُ العزَة وَالإحْـسَاس بـالتَفرد وَالقـوَةُ الَـتي أَرَادَتْ زَرْعَها فينَا وَنَجحَتْ في ذَلك لاَ شَكَّ..

وَحينَ جَاوَبْتهَا بأَنَهَا أَثْقَلَتْ عَلَى نَفْسهَا، فَلاَ يَعيب اليَتـيم أَبَـداً أَنْ يَأْخَذ حَقَّه من القَادرين وأَنَ مَا تَقَوله هوَ قَليل من كَثير فَعَلَتْه لَنَا..

فَلَقَدْ تَركَتْ فَوْقَ متَع الـدنْيَا متْعَـةَ أَكْبَـرَ ربَمَـا يَمْنَعهَـا الحَيَـاءُ مـنْ ذكرْهَا..

لَقَد تَركَتْ جَمَالَهَا الجَسَدي وَحَقَهَا الطَبيعـي في إشْـبَاع رَغَبَاتـه.. ذَلكَ الجَسَد الَذي لَمْ أَكنْ لأَميِّزَهُ وَأَنَا طفْلٌ صَغير.. لَكنَهَا وَهي عَلَـى

فَراش المَرَض مَا زَالَتْ تَحْتَفظُ بآثَارَه وَاضحَةً..

لَقَدْ كَانَتْ آثَاراً أَقْوَى منَ الزَمَن..

نَعَمْ إنَه منَ العَسير بمكَان أنْ تضَحي امْرَأة بنعْمَة الجَمَال الحَقيقي، وَهي نعْمَةٌ عَظيمَةٌ تَرْفَع ثَمَنَهَا كامْرَأة عَنْ طَريق الحَلاَل.. فَضْلاً عَن الطُّرق الأخْرَى..

فإذَا كَانَ منْ مَصْدَر فَخْر وَامْتنَان فَإنَّ هَذَا هوَ أَعْظَم مَا أَفْخَرُ به..

ثمَ مَاتَتْ وَنَحْنُ عَنْ بَعْضنَا رَاضون..

ارْتَطَم نَظَري في هَذه اللَحْظَة بالطفْل الآخَر فعكَسَ ضوْءُ الشَمْس عَلَى وَجْهه ابْتسَامَةً مطْمَئنَةً.

ترَى هَلْ هوَ وَاثقٌ أنَ أُمَّهُ سَوْفَ تَمدّ ذرَاعَهَا أكْثَرَ كَي يَصلَ إلَى الصَخْرَة؟؟

أَمْ أَنَه لاَ يَرَي ذَوَات الأنيَاب منْ تَحْته أَسَاساً؟؟

تَذَكَرْت السبَائكَ المَعْدَنيَة، فَامتعَضْتُ قَليلاً، ذَلَك أَنَ فكْرَةَ المَعْدن هَذه ستُغَيِّرُ نَظْرَتي تَمَامًا للنَافورَة..

وَيَنْتَزعُني منْ أفكَاري صَوْتٌ سَمعْتُهُ اليَوْمَ عدَةَ مَرَّات.. فَالْتَفَتُّ لَهُ وَأَنَا لاَ أَنْوي عَلَى خَيْر ..كَي أجدَ رَجُلَ الأمْنَ أو المُرورً يُسْرعُ كَي يَلْحقَ بمشْيَتي مَاداً إلَيّ ذرَاعَه الطَويلَةَ وَفي نهَايَته حَقيبَتي الجلْديَّةُ، ثُمَّ قَفَل عَائداً لَمكَانه دُونَ أَنْ يُعيرَ كَلمَات شُكْري اهْتمَامًا..

ثَمَّةَ شَيءٌ مَا حَيَّرني؛ إنَّ أُقْدَامَ الأمِّ حَيْثُ نُقْطَةُ الارْتكَاز هيَ الجزْءُ الوَحيدُ الَذي لَمْ يُحْدثْ صَخَباً حينَ طَرَقْتُهُ..

لَقَدْ كَانَتْ أَقْدَامَاً مِنَ الحَجَر الحَقِيقِيّ..

(انتهى)

obeikandl.com

المحتويات

المهنة خبير ٤
البيت النهائي ٩
ليلة السقوط في الحفرة ١٣
الهجرة المضادة ٢١
شكولاته تمر ٢٤
رحلة في الزمن ٢٦
الخروج من الزجاجة ٣٣
جهاز إسرائيلي يعري النساء الفلسطينيات ٣٧
الطرف الآمن ٤٠
سوق الثلاثاء ٤٧
أبوك الإسكندر ٤٨
يتيمة ٤٩
عنده لطف ٥٠
جهاز الإنذار ٥١
إضاءة تاريخية ٥٢
أنفاق ٥٥
مندوب مبيعات ٦٠
أسلوب شاعر ٦٢
التعريب ٦٦
نظرية الشهوة ٦٨
صالحة ٧١

obeikandl.com

كرة حجر ٧٣
داخل صندوق القمامة ٧٧
طالب شهادة ٨٠
مجرد لعبة ٨٢
نقطة الارتكاز ٨٧

obeikandl.com